أسس منهج السلف
في الدعوة إلى الله

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظه للناشر
ويحظر طبع أو تصوير أوترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب
كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله
على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر

الطبعة الثانية

1429 هـ — 2008 م

رقم الإيداع	2002 / 14947
الترقيم الدولي	977 – 6052 – 53 – 3

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٣١٥٨٨٢- فاكس: ٤٣١٨٨٩١

الرياض:ص.ب : ١٥٦٤٧١

الرمز البريدى:١١٧٧٨

المملكة العربية السعودية

E-mail:ebnalqayyam@hotmail.com

دار ابن عفان
للنشر والتوزيع

القاهرة:١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥٠٦٦٤٢٠- محمول: ٠١٠١٥٨٣٦٢٦

الإدارة:الجيزة برج الأطباء أول شارع فيصل

تليفون ٣٥٦٩٣٦١٥- تليفاكس: ٣٣٢٥٥٨٢٠-٣٥٦٩٢٨٥٠

ص.ب ٨بين السرايات

جمهورية مصر العربية

E-mail:ebnaffan@hotmail.com

رسائل جامعية

أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله

إعداد

فواز بن هليل بن رباح السحيمي

قدم له

سماحة العلامة صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي

إمام وخطيب المسجد النبوي

فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا والداعية المعروف

فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله الحديثي

المدرس والموجه بالمسجد النبوي

دار ابن القيم | دار ابن عفان

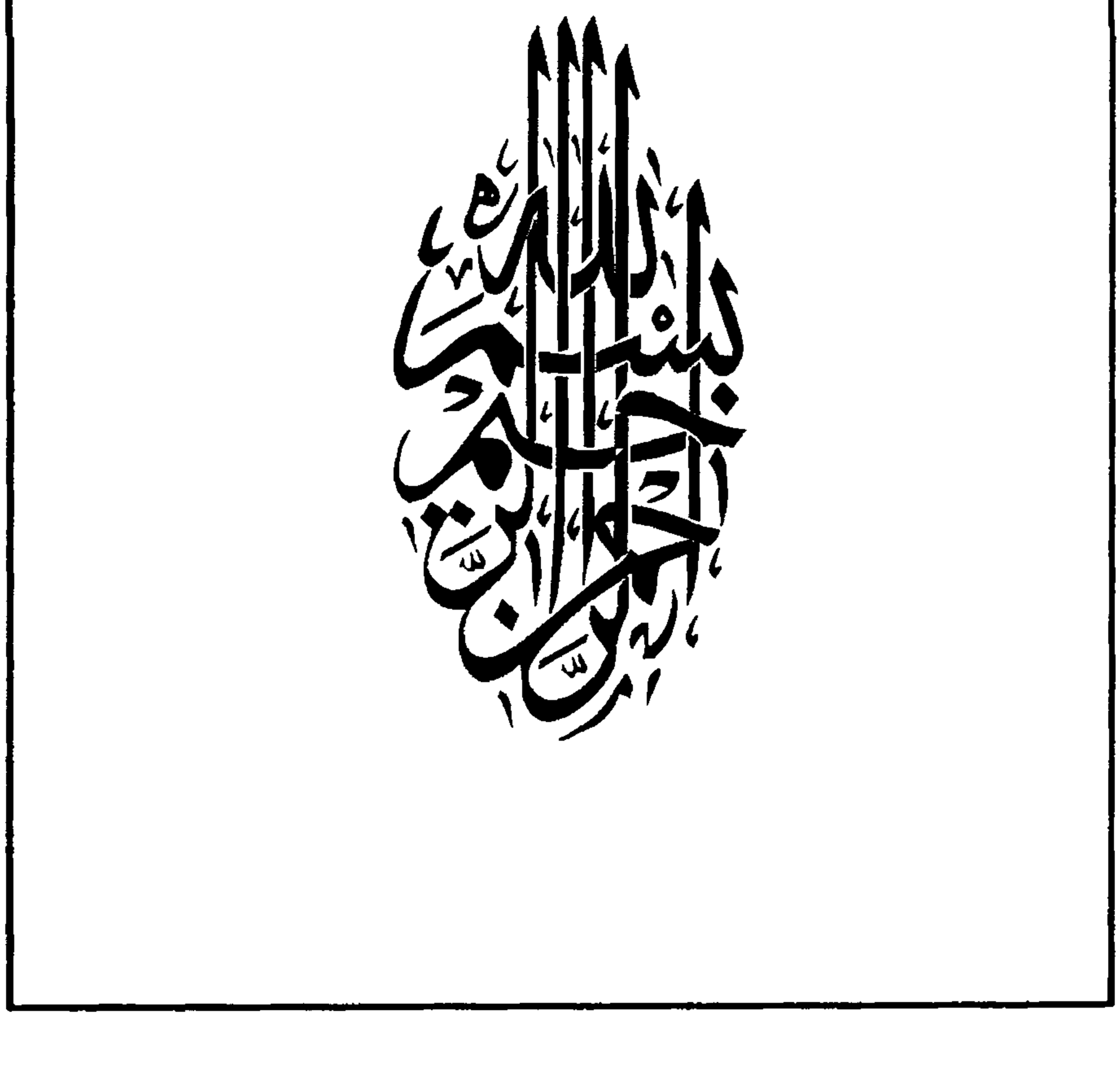

تقديم

بقلم
فضيلة الشيخ العلّامة
صالح بن فوزان الفوزان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه وبعد: فقد تصفحّت الكتاب المسمى (أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله) لمؤلِّفه الشيخ فواز بن هليِّل بن رباح السحيمي فوجدته مؤلّفًا قيِّمًا في موضوعه يحتاج إليه الدعاة إلى الله ليستفيدوا منه في مجال الدعوة، جزى الله مؤلفَه خير الجزاء وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء
١٤٢١/١٠/١٦هـ

تقديم

بقلم

فضيلة الشيخ

علي بن عبدالرحمن الحذيفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد اطّلعت على «أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله» الذي قام به الشيخ فواز بن هليّل السحيمي فألفيتُه مفيدًا في مسائلة يُسهم بنصيبٍ وافرٍ في هذا الباب نفع الله به والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

علي عبدالرحمن الحذيفي

١٤٢١/١٢/٧هـ

تقديم

بقلم
فضيلة الشيخ
عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليُّ الصالحين، وربُّ الطيِّبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه سيِّد ولدِ آدم أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليما كثيرا على مرِّ السنين، أما بعد:

فيقول الحقُّ جلّ ذِكْرُه في محكم تنزيله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ وقال عزّ اسمهُ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

وقال تبارك وتعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

وقال جلَّ في علاه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فاعلم أيُّها المسلم هدانا الله وإيّاك إلى مراشد أمورنا أن هذا الأمر الذي أمر الله رسولَه ﷺ بالدعوة إليه وأمّتُه تبعٌ له في ذلك، له أصلان عظيمان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر وهما:

الأوّل: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإِنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من

فعله[١].

قلت: وهذاا هو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءةُ من الشرك وأهله، وبذلك بعث الله جميع النبيّين والمرسلين من لدن نوح أولهم إلى محمد خاتمهم صلى الله وسلم عليهم أجمعين، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ وقال ـ تَعَالَى ـ فيما قصّه علينا من خبر نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المُصطفَين الأخيار عليهم الصلاة والسلام دعوة لأقوامهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ والآيات في هذا الباب أكثر من أن تُحصَر وأشهرُ من أن تُذكر فمن تدبّر القرآن الكريم وجد ذلك ظاهرًا جليًا، ثمّ في متواتر السنّة النبوية ما يشهد بما شهدت به آيُ التنزيل الكريم من اتفاق دعوة الرسل على أصل هذا الدين وأساسه الذي هو الأمر بالتوحيد وإخلاص الدين لله والنهي عن الشرك الذي هو مُحبطٌ للعمل كما قال جلّ وعز: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ومن تلك السنة الصحيحة: أولاً: ما رواه مسلمٌ وغيرهُ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخَط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال).

ثانيًا: وفي الصحيحين عن ابن عبّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ لما بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن قال: (إنّك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله

(١) قاله المجدد الثالث للدعوة السلفية الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

افترض عليهم صدقةً في أموالهم تُؤخذُ من أغنيائهم وتُردُّ على فقرائهم، وإيّاك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب).

ثالثًا: روى مسلمٌ عن جابرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن رسول الله ﷺ قال (من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنّة ومن لقى الله وهو يُشرك به شيئًا دخل النار).

رابعًا: أخرج الترمذي وصححه عن معاذٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله دلّني على عمل يُقرِّبني من الجنة ويبعدني من النار؟ قال يا معاذ قد سألت عن عظيم وإنّه ليسيرٌ على من يسرّه الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجُّ البيت.. الحديث.

خامسًا: في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم رحمهما الله عن عبدالله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال: (إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي قط إلا كان حقًا عليه أن يدلَّ أمّته على خير ما يعلمه لهم وأن يُنذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإنّ أمّتكم هذه جُعلَ عافيتُها فى أوّلها وسيصيب آخرهَا بلاءٌ وأمورٌ تنكرونهَا .... الحديث.

فإذا ضممت هذه الأحاديث الصحيحة إلى ما قبلها من آيِ التنزيل الكريم وما في معناها تبيّن لك أنّ أصل الدعوة إلى الله وأساسها هو الأمر بالتوحيد ثمّ سائر فرائض الدين العملية، والنهيُ عن الشرك وأنّه أعظم ما عُصيَ الله به ثمّ النهي عن سائر المعاصي ومن ذلك البدع والمحدثات في الدين.

ولقد اطّلعت على البحث القيِّم الموسوم بـ (أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله) بقلم تلميذنا وصاحبنا وأخينا في الله فواز بن هليل بن رباح السحيمي، فألفيته قويًا في مبناه، عميقًا في معناه، شاملًا فى محتواه، وذلك لما أودعه فيه الكاتب ما ذكرناه من قواعد المنهج السلفيِّ وأصوله وغيرها من الأسس مستدلًا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية؛ فأقام بذلك الحجة وأبان المحجّة على أنه لا يصلح للعباد سوى هذا المنهج، وكيف لا يكون كذلك وأهله هم الفرقة الناجية؟ وفيهم قال النبيُّ ﷺ (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة

قالوا من هي يا رسول الله، قال: الجماعة) ويُفسِّر ابن مسعود رضي الله عنه هذه الجماعة بقوله (ما وافق الحق ولو كنت وحدك فإنّك حينئذٍ الجماعة) وكيف لا يكون هذا المنهج صالحًا للعباد والبلاد حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد قال النبي ﷺ: (لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحق منصورةٌ لا يضرّهم من خالفهم وخذلهم حتى يأتي أمر الله).

فيا أيُّها المسلمون عامةً والدعاة إلى الله خاصّة عليكم بمسلك أهل السنّة والجماعة والزموا سبيل السلف الصالح وإيّاكم أن تغترّوا ببريق الكتُب الفكرية المعاصرة، وما احتوته من زُخرُف القول فإنما مبنيةٌ في الغالب على الجهل بدين الله ولا مُستند لها إلا الرأي، وعليكم بكتُب الأئمة التي عُني مصنفوها بنقل أصول الدين وفروعه نقلًا خاليًا من شائبة البدعة وكدر الخرافة.

وفي الختام أشكر لأخينا فواز جهده المبارك، وأسأل الله لنا وله الاخلاص والسداد في الأقوال والأعمال؛ كما أسأل الله لي ولكم أيُّها المسلمون أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتّباعه، وأن يُرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه
عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا
كان ذلك في صبيحة الأربعاء
الثالث عشر من ذي القعدة عام
واحدٍ وعشرين وأربعمائة وألف، بالمدينة النبوية.

تقديم

بقلم
فضيلة الشيخ
صالح بن عبدالله الحديثي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده محمدٍ وآله وصحبه أما بعد:

فقد قرأ عليَّ الإبن/ يوسف بن صالح الحديثي رسالةً بعنوان (أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله) والتي قام بتأليفها وجمعها الأخ/ فواز بن هليّل بن رباح السحيمي، والتي نال بها درجة الماجستير من كليّة الدعوة بالمدينة النبوية والتابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولقد أعجبتُ بها حيث إنها اشتملت على علوم جمّةٍ ومباحث مهمّةٍ ومسائلَ مفيدةٍ فهي بحقٍ تعتبرُ مؤلَّفًا قد جمع بين طيَّاته الكثير من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المروية عن علمائنا المقتدى بهم قديما وحديثًا، وسيجد قارئُها ـ إن شاء الله ـ ما يُعينُه على القيام بمهمّة الدعوة في سبيل الله مسترشدا بما ثبت عن النبي ﷺ والسلف الصالح في هذا المضمار، وهذه المهمّة التي هي وظيفة الأنبياء وورثتهم العلماء وكذلك هي وظيفة كلِّ ناصح وداعٍ إلى الهدى، همُّهُ في ذلك توجيه الناس وإرشادهم إلى الطريق السويِّ والمنهج الصحيح، فجزى الله مؤلّفها خيرًا حيث بذل جهدًا نسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه. ويُثيبه عليه وأن ينفع بها من قرأها واستفاد منها.

أملاه
صالح بن عبدالله الحديثي
المدرِّس بالمسجد النبوي
١٤٢١/١٢/٥هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

● **أما بعد:**

فإن الله قد أتمَّ الدين، وأقام عليه الأدلة والبراهين؛ فمن تمسَّك به فهو من المفلحين، ومن نكص عنه فهو من الخاسرين، ولم يجعل بيانه لأحدٍ من العالمين إلا لرسوله الأمين ﷺ؛ فلا حلالَ إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه؛ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(١).

فمن هذا المنطلق العظيم أحببتُ أن أُسْهِمَ بجهدِ المُقِلِّ في بيان بعض المعالم السلفية على ضوء كلام رب العالمين، ورسوله الأمين ﷺ، وِفْقَ فَهْم سلف الأمة الهداة المهتدين، مع بيان أثر مخالفة هذا المنهج العظيم في عقائد المخالفين؛ ليكون ذلك إظهارًا للحق، وتجليةً لما التبس على الناس في كثير من تصوراتهم وأفكارهم، ولينكشف أمرُ كثير من المناهج المخالفة التي أحدثت في بلاد المسلمين صدعًا يصعب رأبُه، وما ذلك إلا لقيامها على الفكر البشري دون العلم الشرعي، فأصبح الفكرُ مشتَّتًا؛ لفقده برهانَ العلم والسنة والمتابعة؛ وهذا منشأ الخطإ والخلل والزلل.

ويركِّزُ البحث على بيان منهج السلف، وأسسه في الدعوة إلى الله؛ وذلك من خلال عرض الضوابط اللازمة لذلك المنهج ، مما يتعلَّق بالداعية والمدعوِّين والمدعو إليه، إلى جانب ما يقتضيه المقام من بيان وسائل وأهداف منهج السلف في هذا الباب؛ كلُّ ذلك تحت دراسة مبنيةٍ على أسس الدعوة السلفية، مع الحرص في أثناء ذلك على بيان الخلل الحاصل في كثيرٍ من الأفكار الدعوية المُخالفة لمنهج السلف رضي الله عنهم.

❑ **هذا؛ ويتكوَّن البحث من تمهيد وثلاثة أبواب، وهي كالتالي:**

● **التمهيد:**

---

(٢) سورة النور، آية : ٥٤ .

وفيه بيان معنى كلمة السلف، وصحةُ الانتساب إلى ذلك المنهج، ومسميَّاتُ ونعوت ذلك المنهج الصحيح، ثم بيان تعريف الدعوة وفضلها وحاجة الناس إليها.

❑ **وأما الأبواب فإليك تفصيلَها:**

الباب الأول: في ضوابط منهج السلف في الدعوة وشروطها.

ويشمل أربعة فصول:

- **الفصل الأول: الضوابط المتعلِّقة بالداعية، ويتكوّن من ثلاثة مباحث:**
  - ❑ **المبحث الأول: الإخلاص، وأهميَّته.**
  - ❑ **المبحث الثاني: البصيرة في العلم.**
  - ❑ **المبحث الثالث: الحلم والصبر على الأذى.**
- **الفصل الثاني: الضوابط المتعلِّقة بالمدعوِّين.**

  ويتكون من أربعة مباحث:
  - ❑ **المبحث الأوَّل: مراعاةُ الفوارق بين دعوة المسلمين وغيرهم.**
  - ❑ **المبحث الثاني: مراعاةُ الفوارق بين دعوة أهل الجهل، وأهل الهوى.**
  - ❑ **المبحث الثالث: مراعاةُ الفوارق بين دعوة الحكَّام والمحكومين.**
  - ❑ **المبحث الرابع: مراعاةُ الفوارق بالنسبة للحالات النفسية والقدرات البشرية، والمكانة والشرف والسن.**
- **الفصل الثالث: الضوابط المتعلِّقة بالمدعوِّ إليه.**

  ويتكوَّن من ثلاثة مباحث:
  - ❑ **المبحث الأول: الدعوة إلى الأهم فالأهم، وأهمُّها التوحيد.**
  - ❑ **المبحث الثاني: الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة.**
  - ❑ **المبحث الثالث: شموليةُ فهم السلف ودعوتهُم لإصلاح ما ينشأ في المجتمع من مخالفات.**
- **الفصل الرابع: الضوابط المتعلقة بأحوال الزمان والمكان للدعوة.**

ويتكون من ثلاثة مباحث:

- ❑ المبحث الأوَّل: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة في صدر الإسلام، وحالها في هذه الأزمان.
- ❑ المبحث الثاني: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة من مِصْر إلى مِصْرٍ آخر بحسب أحوالِ الناس.
- ❑ المبحث الثالث: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة مع وجود الدولة المسلمة وعدمها.

الباب الثاني: (وسائل منهج السلف في الدعوة إلى الله).

ويتكون من فصلين:

- الفصل الأول: في التعريف بوسائل الدعوة وبيان أقسامها

ويتكون من ثلاثة مباحث:

- ❑ المبحث الأوَّل: الوسائل العادية: تعريفُها وضابطها ومشروعيتها.
- ❑ المبحث الثاني: الوسائل التعبديّة: تعريفها وضابطها ومشروعيتها

المبحث الثالث: في حكم الوسائل، وبيان الأقوال، ووجه الحقِّ فيها.

- الفصل الثاني: في الوسائل والأساليب الشرعية للدعوة على ضوء الأسس السلفية، وبيان وجه المخالفة فيها.

❑ ويتكون من سبعة مباحث:

- ❑ المبحث الأوَّل: أسلوب الحكمة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه.
- ❑ المبحث الثاني: أسلوب الموعظة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه.
- ❑ المبحث الثالث: أسلوب المجادلة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه.
- ❑ المبحث الرابع: أسلوب الجهاد: تقريره، ومن يُستخدم في حقه.
- ❑ المبحث الخامس: أسلوب التأليف: تقريره، ومن يُستخدم في حقه
- ❑ المبحث السادس: أسلوب الهجر: تقريره، ومن يُستخدم في حقه.
- ❑ المبحث السابع: أسلوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضوابطه.

الباب الثالث: (مميزات منهج السلف في الدعوة إلى الله وأهدافُه).

ويتكون من فصلين:

- **الفصل الأوَّل: مميزات منهج السلف في الدعوة، ويتكون من ثلاثة مباحث:**
  - ❑ **المبحث الأوَّل: استمداده من الشرع.**
  - ❑ **المبحث الثاني: تحقيقه لمصالح الدين والدنيا.**
  - ❑ **المبحث الثالث: أنه منهج ظاهرٌ منصورٌ إلى يوم القيامة.**
- **الفصل الثاني: الأهداف الشرعية للدعوة على فهم السلف؛ وفيه مبحثان:**
  - ❑ **المبحث الأول: الخروج من عهدة التكليف بقيام الحجة على المدعو.**
  - ❑ **المبحث الثاني: رجاء هداية المدعو.**
- **ثم بعد ذلك: الخاتمة.**

وسيكون منهج البحث على ما يأتي:

أولاً توثيقُ الأقوال المنقولة عن أصحابها، وتعيين مصادرها.

ثانيًا التأصيلُ العلمي المبني على الفهم الصحيح، وتقرير منهج السلف في الجوانب الدعوية من خلال القرآن والسنة وأقوال أئمة السلف.

ثالثًا عَزَوْتُ الآيات إلى أماكنها، وقمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصيلة.

رابعًا وضعت فهارس للآيات والأحاديث والمراجع وموضوعات البحث.

- **وبعد شكر الله ـ جلَّ وعلا ـ، والاعتراف بنعمته ـ سبحانه وتعالى ـ نتوجَّهُ إليه بالدعاء أن يُجزل المثوبة في الدنيا والآخرة لكل من أعانني وساعدني، وأسهم في إتمام هذا البحث؛ وأخصُّ بذلك شيخي**

وأستاذي الشيخ الدكتور الفاضل/ عبد الله بن عبدالرحيم عسيلان ـ حفظه الله ـ المشرف على هذا البحث، الذي أحاطني بتوجيهاته ونصحه وإرشاده؛ إذْ كان لا يَأْلُو جهدًا في نصحي وتوجيهي.

- وكذلك فضيلة الشيخ الدكتور / إبراهيم بن عامر الرحيلي ـ حفظه الله ـ والذي أفادني بتوجيهاته وإرشاداته.

وختامًا أسأل اللهَ ـ عز وجل ـ أن يجعل أعمالَنا لوجهه خالصة، ولنبيِّه مُتابِعة، وألا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا، وأن يجعل هذا العمل ذخرًا لنا عندَه يوم نلقاه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

التمهيد

- ويتكوَّن مما يلي:

❑ أولًا: تعريف كلمة السَّلَف لغةً.

❑ ثانيًا: تعريف كلمة السَّلَف اصطلاحًا.

❑ ثالثًا: المسمَّيات التي تُطلق على السَّلَف.

❑ رابعًا: صحة الانتساب إلى منهج السلف.

❑ خامسًا: تعريف الدعوة.

❑ سادسًا: فضل الدعوة، وحاجة الناس إليها.

أولاً

تعريف «كلمة السلف» لغةً

يقال: سلَف يسلُف سلفًا، أي: مضى، ومنه: القومُ السلَّاف: المتقدِّمون، وسلفُ الرجلِ: آباؤه المتقدِّمون؛ والجمع: أسلاف وسُلَّاف.

ومنه السُّلْفةُ: ما يتعجَّلُه الرجل من الطعام قبل الغذاء، والتسليف: التقديم؛ والسالف والسليف : المتقدِّم، وسُلافة كلّ شيء عَصَرْتَه أوَّلُه[1].

والسلف ـ أيضًا ـ: مَن تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنِّ والفضل، وَاحِدُهُم: سالف.

ويقال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2] أي: جعلناهم سلفًا متقدِّمين؛ ليتَّعظ بهم الآخرون[3].

ويقال: الأمم السالفة: الماضية والغابرة، تُجمع سوالف، ويقال: (جاء القوم سُلْفةً سُلْفَةً)؛ إذا جاء بعضُهم في إثر بعض؛ وسلَّاف العسكر مقدّمُتهم، وسلفتُ القومَ وأنا أسلفُهم سلفًا: إذا تقدّمتهم[4].

وعليه فكلمة السلف تدلُّ على من تقدَّمَك في شيء، وسبقك إليه، وكنتَ على طريقه مقتديًا.

---

(١) «الصحاح»، للجوهري (١٣٧٧/٤).
(٢) الزخرف، آية ٥٦.
(٣) «جمهرة اللغة» لابن دُريد (٣٨/٣).
(٤) «تهذيب اللغة» (٤٣١/١٢) .

ثانياً

تعريف كلمة «السلف» اصطلاحًا

قد جعل الله ـ تعالى ـ لهذه الأمّة مرجعًا عظيمًا يرجعون إليه ويتأسّون به؛ حيث يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾(١).

وأخبر الله ـ تَعَالَى ـ أنَّ لهذه الأمَّة سلفًا سبقوا للهدى والرشاد؛ حيث يقول ـ جلَّ وعلا ـ في محكم التنزيل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾(٢).

وجعل الله ـ تعالى ـ عدم اتباع السابقين المهتدين مُشاقّةً وتفرُّقًا، حيث يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(٣).

فالمتأمِّل لهذه الآيات يعرف بعين البصيرة والهُدى أنَّ للأمَّة سلفاً تقدَّموا بالخير والهدى، وسبقوا إليه، وعملوا به، وأنَّ التابع لا يستحقَّ النجاةَ والخيريَّةَ إلَّا بالسير على نهج من سَلَفَه، والعمل بما سبق إليه السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار، ولا استحقاقَ للتابع لوصف الإحسان إلا بمتابعة السابقين.

يقول شيخ الأسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ موضّحًا هذا المعنى، ومجلِّيا له: «فلا فلاح إلَّا باتّباع الرسول؛ فإنّ الله خصّ بالفلاح أتباعَه المؤمنين وأنصاره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤) أي : لا مفلح إلاَّ هم»(٥).

---

(١) الأحزاب، آية ٢١.
(٢) التوبة، آية ١٠٠.
(٣) النساء، آية ١١٥.
(٤) الأعراف ١٥٧
(٥) «الفتاوى» (٩٧/١٩) .

فقد بيَّن الله ـ جلَّ وعلا ـ أنَّ الفلاح لمن اتَّبع النور الذي أنزله على نبيِّه ﷺ، ونصره وعزَّره، وينقُص من الفلاح والنجاة بقدر ما يُنْقِصُ العبدُ من اتّباع النور الذي أنزله الله على رسوله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ موضِّحًا هذا المعنى بجلاء من أنَّ النجاة والفلاح باتّباع من سبق من السابقين الأوَّلين: «وإنما الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين هي سبيلُ نبيِّنا محمد ﷺ، وسبيل خلفائه وأصحابه، ومَن سلك سبيلهم، وهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية[1].

والنبي ﷺ لما أخبر عن اختلاف الأمَّةِ في أمر دينِها ونشوء الأهواء والفرق فيها أوصى أمَّته بالرجوع للسالفين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم ـ، وجعل الرجوعَ إليهم سببًا في النجاة من المهالك والبدع والفتن؛ حيث يقول ﷺ: «فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنّة الخلفاء المهديِّين الراشدين، عضّوا عليها بالنواجذ وإيَّاكم ومحدثات البدع فإنّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالة»[2].

واستحقَّ السلف الصالح ـ رَضِيَ الله عنهم أجمعين ـ هذا الفضلَ العظيمَ بسبب ما هداهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ إليه من الصواب والهدى؛ حيث يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة أتباعِ السلَف: «والصواب في جميع مسائل النزاع: ما كان عليه السلفُ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[3].

فهذا الكلام منه ـ رحمه الله ـ يُبيِّنُ لنا ماهية كلمة السلف ومدلولها الاصطلاحي، وأنّ المراد بها الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فمَن جعلهم سلفًا له في الاتِّباع والفهم كان سلفيًّا.

وإنما كانوا أحقَّ بالاتِّباع؛ لأنَّ الله جمعهم على أصل واحد، فلم يُعرف عنهم تنازُعٌ

---

(١) «الفتاوى» (ج٢٨/٤٣) .
(٢) رواه أبو داود في كتاب السنّة ج٥/١٣ح/٤٦٠٧والترمذي في باب العلم ج/١٠/١٠٤ح/٢٦٧٦
(٣) «الفتاوى» (١٧/٢٠٥) .

في أصول الدين؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«أما السلف كالصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يُعرف لهم في هذا الأصل تنازُعٌ، بل الآثار متواترةٌ عنهم به» (١).

ويؤكّد ـ رحمه الله ـ أنه لا صِحّة للأمر «إلَّا بما ورد عن الله ورسوله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، الذين هم أعرفُ بالله وأحكامه وسلَّمنا لهم أمرَ الشريعة وهم قدوتُنا فيما أخبروا عن الله وشرعه؛ وقد أنصف من أحال عليهم، وقد شاقق من خرج عن طريقهم» (٢).

وما ذاك إلا لِمَا قام في قلوبهم من إخلاص النيّة لله، وتجريد المتابعة لنبي الهدى ﷺ، واضمحلال جميع المقاصد غير الشرعيَّة من قلوبهم؛ وفي هذا يقول ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ:

«فإنَّ أهل الحقِّ والسنَّةِ لا يكون متبوعهم إلَّا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى» (٣).

وعلى ضوء ما تقدَّم ذكْره يتبينَّ أن كلمة السلف تُطَلق على صحابة نبيِّنا ﷺ، والتابعين لهم بإحسان ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين، ومن تبعهم على هذا الدين الحق كان خلفاً لخير سلف.

---

(١) «الفتاوى» (١٧/٥٢).

(٢) «الفتاوى» (٤/١٩٠) .

(٣) «الفتاوى» (٣/٣٤٦)

ثالثًا

المسمَّيات التي تُطلق على السَّلف

وبعد معرفة معنى السلف اصطلاحًا، لابد من الإشارة إلى أنَّ مَنْ سار على هذا المنهج الذي عليه السابقون الأوَّلون قد يُنعت بنعوتٍ وأوصافٍ كثيرة، كلُّ هذه النعوت والأوصاف تدلُّ على حقيقة واحدة، وهي: اتّباع منهج السلف.

فقد وصفهم النبي ﷺ بوصف الغرباء؛ حيث يقول ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»(١).

كما يُوصَف أتباع هذا المنهج النبوي بأهل السنَّة والجماعة، يقول ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبّر الكتاب والسنّة وما اتّفق عليه أهلُ السنة والجماعة...»(٢).

ويقول الشاطبي ـ رحمه الله ـ في وصفهم بأهل السنة ومَن عداهم بأهل البدعة:

«وتُطلق السنّة في مقابل البدعة؛ فيُقال: فلانٌ على سنة: إذا عمِل على وفق ما عليه النبيُّ ﷺ، ويقال: فلانٌ على بدعة: إذا عمل على خلاف ذلك»(٣).

كما يوصف هؤلاء بأهل الأثر، وأهل الحق، وأهل الحديث؛ يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في وصفهم بهذا:

«هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنّة المتمسّكين بعروقها، المعروفين بها، والمقتدى بهم فيها من لدُن أصحاب النبي ﷺ»(٤).

كما يُوصف ويُنعتُ أهلُ السنّة بالفرقة الناجية والمنصورة استناداً للأحاديث الدالة على هذه الأوصاف العظيمة فقد ذكر النبي ﷺ افتراق أمَّتِه بسبب البدع والأهواء ثم

---

(١) رواه مسلمٌ في كتاب الإيمان، جـ٢/٢٣١، جـ٢٣٢.
(٢) «الفتاوى»، (١٥٧/٤).
(٣) «الموافقات»، (٤/٤).
(٤) «السنة»، (ص٣٣)؛ وانظر نحوه: «تلبيس إبليس»، لابن الجوزي، (ص٢١).

حكم لأهل السنّة بالنجاة في قوله «كلّها في النار الا واحدة، وهي الجماعة»(١) فهي بفضل الله ناجيةٌ ومنصورةٌ كما قال ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله وهم ظاهرون على الناس»(٢).

وإنما نالوا أحقيَّة هذا الاسم لنصرة السنَّة والدعوة إليها، وفي هذا يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: «كذلك أهلُ السنّة والجماعة وأهل الحديث هم أنصارُ دينِه وكتابه وسنّة رسوله»(٣).

على أن الوصف بأهل السنّة إنما يتحقق لمن يتمثّل حقيقة السنّة على النحو الذي ذكره ابن رجب ـ رحمه الله ـ حين قال:

«والسنّة : هي الطريقة المسلوكة؛ فيشمل التّمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال؛ وهذه هي السنّة الكاملة؛ ولهذا كان السلف قديمًا لا يُطلقون اسم السنَّة إلَّا على ما يشمل ذلك كلّه»(٤) .

يقول الشيخ العلّامةُ ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ:

«أهل السنّة والجماعة: هم الذين تمسّكوا بالسنّة واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى ما سواها لا في الأمور العلميّة الاعتقاديّة ولا في الأمور العملية الحُكميّة»(٥).

فإنَّ الناظر لمثل هذا الكلام الوارد عن هؤلاء الأئمَّة يجد أنَّ السنة وأهلَها يُوصفون بأوصاف كثيرة ونُعوتٍ جليلة، والحقيقةُ واحدةٌ، ويظهر من كلامهم ـ رحمهم الله ـ أنّه لا يكون الوصف حقًّا حتى يكون المسلم عليه صدقًا وحقًا، عملًا وتطبيقًا، لا ادِّعاءً مجرَّدًا.

ويظهر كذلك أن هذا لقبٌ لا يقتصر الوصف به على زمنٍ بعينه، وفي بيان هذا يقول ابن حزم ـ رحمه الله ـ:

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، جـ٤/٣٥٣، جـ ٣٩٩٣.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، جـ١٣/٩٩، حـ ١٠٣٧.
(٣) «جامع العلوم والحكم»، (٢٤٩).
(٤) «المجموعة الكاملة»، قسم العقيدة، (٤١٥).
(٥) «فتاوى العقيدة»، (٤٣١).

«وأهل السنّة الذين نذكرهم أهل الحقِّ، ومَن عداهم أهلُ البدعة؛ فإنَّهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وكلُّ مَن سلك نهجهم من خيار التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ، ثم أصحاب الحديث، ومَن تبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم»[1].

وإذا كانت الأسماءُ والنعوتُ المطلقةُ على أهل السنة كثيرةٌ[2]، فهي من باب اختلاف التنوُّع؛ إذ الحقيقة واحدةٌ، فكلُّ وصفٍ من هذه الأوصاف يكون منطبقاً عليهم باعتبار، ولا تنافيَ بينها؛ وعليه، فلا يجوز الرضا بتعدُّد الفرقِ الإسلامية، واتِّباعها على تفرُّقها بحجَّة اختلاف الأسماء والنعوت الآنفة الذكر، فتلك النعوت كما قرَّرها أهل العلم إنما هي لحقيقةٍ واحدةٍ، وأما التفرق الحاصل بين بعض الجماعات المنتسبة للدعوة؛ فإنه يعود إلى ما يظهر لديها من اختلافٍ عقدي كان من نتائجه اختلافٌ وتفرُّق، والواجب التزام منهج سلف الأمّة، والبُعْدُ عن الجماعات المختلفة في الدين، والنهي عن اتِّباعها، وتحذير الناس من زيف أفكارها.

---

(١) «الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل»، (٢/١١٣).

(٢) انظر: مزيد تفصيل في «وسطية أهل السنة بين الفِرق»، للدكتور: محمد باكريم، (ص٩١ ـ ١٢٣)؛ و«موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع»، للدكتور/ إبراهيم عامر الرحيلي، (ص٤٤ ـ ٦٢).

رابعًا

صِحَّة الانتساب إلى منهج السلف

ومِمَّا تَقَدَّم يُعلم أنّه يجب اتباع منهج السلف، وليس في الانتساب إليه أيُّ عيبٍ أو مذمَّةٍ، بل هو ممَّا يجب على الإنسان أن ينتسب إليه، وأن يعتزَّ به، وأن يكثِّرَ سواد أهلِه؛ إذْ لا سبيل لنجاة العبد إلّا به؛ فالله ـ جلَّ وعلا ـ عندما أثنى على السالفين الأوَّلين، أتبع ذلك بالثناء على التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كلامٍ متينٍ في أنَّ الانتساب للسلف يُعتبر تكثيرًا لسواد أهل الحقِّ ونصرةً لهم:

«لأنَّ الكتاب والسنَّة أيضًا قد دلّا على أنّه لا يزال في هذه الأمَّة طائفة متمسِّكة بالحق الذي بُعث به محمد ﷺ إلى قيام الساعة، وأنَّها لا تجتمع على ضلالة؛ ففي النهي عن ذلك ـ التفرُّق ـ تكثيرُ هذه الطائفة المنصورة وتثبيتُها وزيادة إيمانِها»(١).

وقد تكاثرت أقوال أهل العلم في وصف تلك الطريقة النبويِّة باسم السلفيَّة، ومَن لم يكن متبعاً لها كان من أهل البدع والأهواء، وتنطبق عليهم هذه الصفة؛ لما هم فيه من اتباعٍ للهوى، ومُخالفةٍ لنهج الكتاب والسُّنَّة، ويؤكِّدُ ذلك شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ في قوله:

«فمن اتّبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسولَه، وبعد هدى الله الذي بيَّنه لعباده؛ فهو بهذه المثابة؛ ولهذا كان السَّلف يسمُّون أهل البدع والتفرُّق المخالفين للكتاب والسنة: أهلَ الأهواء»(٢).

ويؤكِّد ذلك في موضع آخر، حين ذهب إلى أنَّه من لم يكن من أتباع السلف، ومنتسباً إليهم، كان من أهل الأهواء؛ كما يبدو من قوله:

«فعُلم أنَّ شعار أهل البدع هو تركُ انتحالِ اتِّباع السلف»(٣).

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيميّة، (١/١٥٢).

(٢) «الفتاوى»، (٤/١٩٠).

(٣) «الفتاوى»، (٤/١٥٥).

وأكَّد ـ رحمه الله ـ ذلك في موضعٍ آخر حين قال:

«ولهذا كان مَن خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعُبَّاد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمّونهم أهل الأهواء»(١).

بل ذكر شيخُ الإسلام ـ رحمه الله ـ سبب ابتداع من ابتدع في دين الله؛ ألا وهو البُعد عن منهج السلف واتّباعه والانتساب إليه، فقرَّرَ ـ رحمه الله ـ أنّ اتّباعَ المنهج السلفي يُعتبرُ عاصمًا ـ بإذن الله ـ من الوقوع في البدع والمخالَفات؛ فيقول:

«فلما كانوا أبعدَ عن مُتابعة السلف كانوا أشهر بالبدعة»(٢).

وإنما وُجدت هذه التسميةُ بسبب الافتراق والفرق والبدع، وكثرة الداعين إليها؛ فكان لأهل السنَّة وأتباع السلف نعوتٌ يُعرفون بها، ويتميّزون بها عن أهل البدع ،بل لا عيب ولا مذمَّة على من أظهر منهج السلف ودعا إليه وانتسب إليه، فإنّه يُقبل منه ذلك بحقّ، ومعارضةُ صاحبِه معارضةٌ للحقّ الواجب اتِّباعُه، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتّفاق؛ فإنّ مذهب السلف لا يكون إلَّا حقًا؛ فإنْ كان موافقًا له باطنًا وظاهرًا فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحقِّ باطنًا وظاهرًا»(٣).

ومن خلال العرض لكلمة «السلفيّة» معنًى وانتسابًا يتبيّن خطأُ كثيرٍ من الكُتّاب والمفكّرين، حيث جعلوا الانتساب للسلف الصالح، ومَن دعا بدعوتهم، ونهج نهجهم، وحذّر من مخالفتهم، جعلوا ذلك داخلًا في مسمّى الفرق التي بُليت بها الأمّة الإسلاميّة، بل جعلوا التحذير من المناهج المخالفة لمنهج السلف سببًا في فرقة الأمّة.

وما من ذنب لهذا السلفي الحقّ عند هؤلاء سوى التمسّك الخالص بمنهج سلف الأمّة، ومفارقة المخالفين، وبيان زيغ الزائغين، وكشف زيف المُبطلين.

وما من ذنب يُعْهد إلّا أنّه وقف بالبيان والتحذير من خطورة كثيرٍ من الدعوات

---

(١) «الفتاوى»، (١٣٣/٢٨).

(٢) «الفتاوى»، (١٥٥/٤).

(٣) «الفتاوى»، (١٤٩/٤).

المنتشرة المخالفة لمنهج السلف الصالح، تلك الدعواتُ والحركاتُ التي فيها ذهابُ لرونق الإسلام وزينتِه إلى شُبَه البدع وشوائبه؛ تلك التسمياتُ والدعوات التي جعلت الإسلام منحصرًا في أروقتها، وتابعًا لِصُنّاع سياستها، حتى أصبح الناسُ فرقًا وشِيَعًا...؛ وذلك كما أخبر عنه النبيّ ﷺ بأنّ أمّته ستفترق شيعًا وأحزابًا، ولا نجاة إلّا لمنِ اتّبع سبيل المؤمنين، واجتنب المحدَثات في الدين.

فكان لزامًا على من أراد اتّباع الحقّ وسُلوك طريقه أن يكون نظرُه وفكرُه مأخوذاً من النبع الصافي والهدى القويم والسبيل المستقيم، أعني : سبيل المؤمنين المتّبعين لسنّة سيّد المرسلين ﷺ، صابرًا محتسبًا، لا يضرّه مَن خالفه من تلك الفرق المتناحرة التي اشتدّ رَمْيُها وعن قوس واحدةٍ لأهل الحقّ والهدى.

خامسًا

تعريف الدعوة

الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ تكون بمعنى: نداء الناس لفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، ويتضمّن ذلك : أمرَهم بكلّ خير، ونهيهم عن كلّ شر.

قال ـ تعالى ـ في بيان معنى الدعوة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾[1]، أي: يدعو وينادي ويأمر.

وقال إخباراً عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾[2].

وعليه: فيكون معنى الدعوة شرعًا: النداء إلى فعل ما أمر الله به من الأقوال والأعمال، وترك ما نهى الله عنه من الأقوال والأعمال.

يقول شيخُ الإسلام ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى:

«وهي الدعوة إلى الإيمان بالله ، وبما جاءت به رسله فيما أخبروا به، وطاعتهم بما أمروا به، فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله»[3].

فالدعوة إلى الله هي : أمر الخلْق والعباد ونداؤهم لامتثال أوامر الله من الإيمان به وبما جاءت به رسلُه ـ صلوات الله وسلامُه عليهم ـ، ويشمل ذلك : الدين كلّه؛ ولذا جاءت الدعوة في كتاب الله بصفة الخطاب والنداء، وذلك في مثل الألفاظ الآتية: يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا، ويا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا بني آدم، وغير ذلك، ممّا يدلّ على معنى الطلب والأمر والنداء.

---

(١) البقرة، آية: ٢٢١.
(٢) غافر، آية: ٤١.
(٣) «الفتاوى»، (٧/٢٠).

سادسًا

فضل الدعوة وحاجة الناس إليها

الدعوةُ إلى الله شأنُها عظيم، وأمرُها جسيم، وثوابُها عظيم جليل، وهي من أهمّ الفروض والواجبات على المسلمين، وعلى العلماء بصفة خاصّة، وهي طريق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ فهم القدوة في هذا الأمر العظيم، والأئمة في ذلك، وهي طريقة أتباعهم إلى يوم القيامة؛ والحاجة إليها ـ بل الضرورة ـ معلومةٌ قائمةٌ، فالناس في حاجة ملحّة إلى من يبصّرهم في دينِهم، ويأخذ بهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم من دعوتهم إلى التوحيد ونبذ ما يُضادّه من الأعمال والأقوال إما بالكليّة أو كمال الواجب.

ولذا: أوجب الله ـ تعالى ـ على العلماء أن يبيّنوا الحقّ بدليلِه، وأن يدْعو الناس إليه لكي يكون البيانُ سببًا لخروج الناس من ظُلمة الجهل، وقيام أمورهم في الدنيا والدين على ما أمر الله به ـ سبحانه وتعالى ـ؛ إذِ الجهلُ له عاقبةٌ وخيمةٌ على العالَم كلِّه، فبالجهل يُشرَكُ به ـ سبحانه ـ، وبالجهل يُلحدُ في أسمائه وصفاتِه، وبالجهل يُحرّفُ الدينُ كلُّه، ولذا أخبر النبيُّ ﷺ أنه إذا قُبض العلماء يبقى رءوسٌ جُهّالٌ فيفتون الناسَ بغير علم، فيَضلُّون ويُضلّون.

فعلى هذا تكون الدعوةُ سببًا رئيسًا في صلاح العالَم، واستقامة أمره، وحفظه من كلِّ ما يُفسد حاله، ولن يكون ذلك إلا بالحفاظ على الأمّة في عقيدتها وقِيَمِها وأخلاقها، وإحاطة ذلك بسياج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أمر الله بالدعوة في آيات كثيرة، ورغّب فيها بل حثّ عليها ـ سبحانه وتعالى ـ، وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2].

---

(١) فصّلت، آية: ٣٣.

(٢) النحل، آية: ١٢٥.

فأحسنُ الناس قولًا وعملاً: مَن دعا إلى الله وأرشد إليه، وعلَّم العباد دينَهم، وفقّههم فيه، وصبر على ذلك، وعمل بدعوته؛ وهذا الجنسُ من الناس هم أحسنُ الناس، وهم أصلحُ الناس وأنفعُ الناس للناس.

«فمن أراد أن يكون من أتباع المصطفى ﷺ فعليه بالدعوة إلى الله على بصيرة، حتى يكون من أتباعِه على الحقيقة، ينفعُ الناسَ، وينفعُ نفسَه، فله بذلك مثل أجورهم ولو كانوا ملايين؛ فهذه نعمةٌ عظيمة وفائدة كبيرة»(١).

وفي الحديث يقول ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تَبِعَه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(٢).

وفي «الصحيحين»: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال لعليّ لمّا بعثه لفتح خيبر، قال له : «فوالله لأن يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم»(٣).

فأيُّ فضل يحوزُه الداعية إلى الله؟ إنّه فضلٌ عظيم، وأجرٌ كريم من رب عفوٌّ كريم؛ فجزاء الدعوة خيرٌ من الدنيا وما فيها.

فالدعوة لها مكانةٌ عظيمة، إذ هي وظيفة الأنبياء والمرسلين؛ فهي من أعظم المهمّات التي بُعث من أجلها الرسول ﷺ، وكلّف بها أتباعَه، يقول ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾(٤).

فهي سبيلُ الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وطريقهم؛ فهم أهل النذارة والبِشارة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾(٥).

---

(١) «مجلة البحوث العلمية»، مقال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ، (ع٣٨/ص٢١٠) .
(٢) رواه مسلم في كتاب العلم، جـ١٦، ٣٤٧، حـ/٣٦٧٤.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، جـ٦/٢١١، حـ/٢٩٤٢.
(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٨.
(٥) سورة الفرقان، آية: ١.

بل إنّ الدعوة إلى الله تُعدّ من حقوق (لا إله إلّا الله) كلمة التوحيد، فالدعوة من آكد مبادئ الدين، وأعظم واجبات الشريعة، وأظهر شعائر الملّة، ولا صلاح للعباد والبلاد إلّا بالقيام بها وإظهارها، وتعظيمِها وتكميلِها، بحسب الاستطاعة، وعلى قدر ما يحصل من تقصير في أمر الدعوة وإضاعته وإهماله يكون النقص، وتحدُث الفتن، ويظهر الفساد في الأرض.

ولهذا جعله الله من أعظم فرائض الدين، وأوجب أمر الدعوة على عموم المسلمين، كلٌّ على حسب حالته وقُدرته، ووصف ـ سبحانه ـ به المؤمنين الكُمّل وأثنى عليهم بالقيام بأمر الدعوة والتعاوُن عليه والتواصي به، وشهد لهم بأنّهم خيرُ الناس وأكملهم إيمانًا، وأنفع الناس للناس، وأعظمهم إحسانًا إليهم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

«والناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم وقوّتهم وضعفهم بحاجة ماسَّة إلى الدعوة الإسلاميّة، وبحاجة إلى دين الله القويم الذي ينظّم حياتهم؛ سواء ما يتعلّق منها بالخالق أو بأحدٍ من المخلوقين ،وقد خلق الإنسان وتعتريه جوانبُ نقص كثيرة، ومن ثَمّ فإن مداركَه ومعارفَه مهما توسّعت آفاقُها فإنّها تبقى قاصرةً محدودةً؛ ولذلك أرسل الله الرسل»[2].

ولذا احتاجت البشريّة من يدعوها إلى ربّها ويقودُها إلى معالم نجاتها وسبيل حياتها الحقيقي؛ وفي هذا يقول ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: «حاجة الناس إلى الشريعة ضروريّة فوق حاجتهم إلى كلّ شيء، وحاجتهم إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفّس، فضلًا عن الطعام والشراب ... فليس الناس قطّ إلى شيء أحوجَ منهم إلى معرفة ما جاء به الرّسول ﷺ من القيام به والدعوة إليه والصبر عليه»[3].

وقد كان المسلمون في عهده ﷺ وعهد أصحابه والتابعين يعظّمون هذا الأمر،

---

(١) آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) انظر: «صفات الداعية»، للشيخ: حمد بن ناصر العمار، (ص١٦).

(٣) «مفتاح دار السعادة»، (٢/٢).

ويقومون به حقّ القيام؛ فالضرورة إليه بعد تلك الأزمان أشدّ وأعظم؛ لكثرة الجهل، وقلّة العلم، وغفلة الكثير.

وتبرُز أهميّة الدعوة وعِظمُ فضلها من حيث إنّ الفِطَر قد تتغيّر بانحرافها عن المنهج السويّ إلى عبادة غير الله بحكم التربية، أو البيئة الفاسدة، أو بسبب دُعاة السوء من شياطين الإنس والجن، كما قال ﷺ : «كلُّ مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانِه، أو يُمَجِّسانِه»(١).

فلمّا كانت هذه العواملُ والأسبابُ سببًا في ضلال الخلْق؛ أمر الله ـ جلّ وعلا ـ بالدعوة إليه سبحانه لردّ الشاردين، وتعليم الجاهلين من المسلمين، وتذكير الغافلين؛ فأنزل الله كُتُبَه، وأرسل رُسُلَه من أجل الدعوة إليه(٢).

وممّا يجدُر ذكرُه : أنّ من مقتضى كونهم أتباعًا له ﷺ أن يدعو إلى الله، بل لا تتمُّ تلك المتابعةُ إلّا بهذا؛ ولهذا جاء صريحًا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٣).

وممَّا يُبرزُ أهميَّة الدعوة إلى الله على المنهج الصحيح: أنّك تجد في بعض بلاد المسلمين أنماطاً وأصنافاً من هذه الطقوس التي حالت بين الناس وبين فهمهم للعقيدة الصحيحة؛ ومن هنا تبدو الحاجة مُلحّةً إلى بيان تلك العقيدة الصحيحة الخالصة التي تُركّز على نصوص الوحيين الكتاب والسنّة ... فإنّه عندما ترتكس فطرة الإنسان وتطول غفلتُه ينقلبُ فهمُه حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن، عندها سيحوِّل عقيدته إلى حجر يقدِّسُه أو شجر يعظّمه، أو منهج حزبيّ يتعصّب له»(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير سورة الروم، جـ٩/٤٦٥، حـ/٤٧٧٥.
(٢) انظر : «مقالة في فضل الدعوة»، للشيخ الفوزان، «مجلة البحوث»، (ع٣١/ص١٥٢) بتصرف.
(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.
(٤) انظر: «منهج السلف في العقيدة»، للشيخ: صالح السحيمي بتصرف.

الباب الأول

ضوابط منهج السلف في الدعوة، وشرُوطُها

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأوَّل: الضوابط المتعلِّقة بالداعية.
- الفصل الثاني: الضوابط المتعلقة بالمدعوِّين.
- الفصل الثالث: الضوابط المتعلِّقة بالمدعو إليه.
- الفصل الرابع: الضوابط المتعلقة بأحوال الزمان والمكان للدعوة.

الفصل الأول

الضوابط المتعلقة بالداعية

- ويتكوَّن من ثلاثة مباحث:

❑ المبحث الأول: الإخلاص، وأهميِّته.

❑ المبحث الثاني: البصيرة في العلم.

❑ المبحث الثالث: الحلم والصبر على الأذى.

المبحث الأول

الإخلاص وأهمِيَّته

إنَّ من أهمَّ المهمَّات في نجاح الدَّعوة: ما يتحلَّى به صاحبُ الدَّعوة إلى الله من إخلاص في دعوته، وبُغيةٍ لمرضات ربِّه، وفوزٍ بما أعدَّه الله لأوليائه المتَّقين وعباده المؤمنين.

ولا نجاح للدَّعوة إلى الله إلَّا إذا كانت للَّه قولاً، وفعلاً، وإرادة، وقصْدًا؛ إذِ الدعوة عبادة، ويُشترط في صحَّتها ما يُشترطُ في العبادة من إخلاص ومتابعة؛ فالعبادة مبنيةٌ على الإخلاص والمتابعة، يؤكِّد ذلك الشيخ العلَّامة السِّعدي ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

(العبادات كلُّها سواء كانت باطنة كمحبَّة الله، وخوفه، ورجائه، والتوكُّل عليه، ومحبَّة ما يُحبُّه من الأعمال والأشخاص، وتعظيم ما عظَّمه؛ أو ما كانت ظاهرةً؛ كالقيام بالشرائع الظَّاهرة، وسواءٌ تعلَّقت بحقوق الله المحْضة أو تعلَّقت بحقوق الخلْق. كلُّ ذلك لا بدَّ فيه من الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ؛ فمَن جمع الله له الأصلين أفلحَ وسَعِد، ومَن فاته الأمران أو أحدٌ منهما خسر خُسرانًا مُبينًا؛ فلا أنفع للعبد من جعْل الإخلاص والمتابعة نصْب عيْنيه في كلِّ ما يأتي وما يَذَر، وفي كلِّ ما يقول ويفعل؛ حتى يكون الإخلاص له نعْتًا، والمتابعة له وصفًا، وتضمَحِلُّ عن قلبه جميعُ المقاصد والأغراض المنافية للإخلاص)[1].

ومن ينظر نظرةً متأمِّلةً في آيات القرآن وبراهينه تدبُّرًا وتأمُّلًا، تعقُّلًا وتفهُّمًا، تعلُّمًا وعملًا، سيقف بعين البصيرة على عظم الإخلاص في الدين، وجليل أثره في الدعوة إلى الله؛ حيْثُ جعل الله ـ جلَّ وعلا ـ الدين هو الإخلاص، وأنَّه لا دينَ إلَّا بإخلاص، فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ

(١) «مجموع الفوائد واقتناص الأوابِد»، للسِّعْدي ـ رحمه الله ـ، (ص/١٧).

ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[١]، ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣].

فالعمل لا يكون صالحاً حتى يكون خالصًا صوابًا، وفي هذا يقول الشيخ العلَّامة محمد الأمين ـ رحمه الله ـ:

(فقد بيَّنَ القرآنُ العظيم أنَّ العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور، ومتى اختلَّ واحدٌ منها، فلا نفعَ فيه لصاحبه يوم القيامة؛ منها: أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، لأنَّه يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾)[٤].

ويقول الشيخ العلامة سليمان آل الشيخ ـ رحمه الله ـ:

(وهذان ركنا العمل المُتقبَّل لا بد أن يكون صوابًا خالصًا؛ فالصواب أن يكون على السنَّة وإليه الإشارة بقوله: فليعمل عملًا صالحًا، والخالص أن يخْلُصَ من الشرك الجليِّ والخفي وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٥].

ولا يتحقَّق الإخلاص حتَّى يكون بعيدًا عن الشوائب المُفسدةِ له، وفي هذا يقول الشيخ العلَّامة حافظ الحكَمي ـ رحمه الله ـ:

(والإخلاص هو تصفيةُ العمل بصالح النيَّة عن جميع شوائب الشرك)[٦].

فالعمل حتى لو كان صواباً فلا صلاح له إلا بصحَّة الغرض والمقصود منه، وفي هذا يقول الشيخ العلَّامة السِّعدي ـ رحمه الله ـ:

(فأخبر أنَّ صلاحَ الأعمال وفسادَها بالنيَّات، وأنَّه يحصُل للعبد من الثمرات والنتائج بحسْب نيَّتِه؛ ومعلومٌ أنَّ جميع العبادات لا تصحُّ إلَّا بالنيَّة. ثم لا بدَّ ـ مع

---

(١) سورة الزُّمر، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٢) سورة البيِّنة، آية: ٥.
(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.
(٤) «الإسلام دينٌ كامل»، للعلَّامة الأمين الشَّنقيطيِّ، تحقيق: حسين إبراهيم، (ص/٢٢).
(٥) تيسير العزير الحميد في شرح كتاب التوحيد، ٤٦٥.
(٦) «معارج القبول»، للحكميِّ، (٣٨٢/١).

ذلك ـ أن يكون القصْدُ منها والغرَضُ منها وجهَ الله وثوابَه، ومقصودهُ بها وجهَ الله، والتقرُّبَ إليه، وطلبَ رضاه، واحتسابُ ثوابِه، والقيام بما فرضه وأحبَّه الله لعبده)[1].

ومِمَّا يدلُّ على عِظَم الإخلاص ووُجوبِه على الدَّاعية إلى الله: تعليق الأجر والثواب عليه؛ فلا عبرة بالأشكال وحُسنِها وقُبْحها، ولا عبرة بالأحساب والأنساب؛ إنَّما بالقلب وصلاحه، وتعلُّقه بربِّه، ورجاء ثوابه، وخوفه من عقابه ليس إلَّا، وفي هذا يقول الله ـ تَعَالَى ـ:﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[2]، فهذه الآية العظيمة ذكر الله فيها بصريح القول ووضوحه أنَّه لا ينفع العبدَ من أعماله إلاَّ ما اقترن بالتقوى والإخلاص؛ فالله ـ جلَّ وعلا ـ لا تنفعُه طاعةُ الطائعين، ولا تضرُّه معصية العاصين: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[3].

ويدلُّ لهذا المعنى كذلك قولُه ﷺ: «إنَّ الله لا ينظُر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظُر إلى قلوبكم وأعمالِكم»[4].

ومن ذلك تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الإخلاص؛ من قولهم إذا صفا الشيءُ وخلُص عمَّا يُكدِّره، سُمِّي خالصًا.

ومما يدلُّ على أهميَّة النيَّة الصالحة: أنَّ عدم الإخلاص لله في الدعوة إليه ـ سبحانه ـ يدخُل تحتَ مسمَّى الشرك الذي نهىٰ الله عنه، وحذَّرت الرُّسُل منه، وقام العداءُ بين الرُّسل وأقوامهم لأجله؛ فالرِّياءُ وعدم الإخلاص من شعب الشرك؛ كما ورد عن النَّبي ﷺ قولُه ـ فيما يرويه عن ربِّه ـ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملًا أشرك فيه معيَ غيري تركتُه وشركَه»[5].

وقد كتب الله ـ جلَّ وعلا ـ عدم الثبات في كلِّ عمل لا يكون خالصًا لوجهه؛

---

(١) «الرِّياض النَّاضرة»، للسِّعديِّ: (٢٢١).
(٢) سورة الحجِّ، آية: ٣٧.
(٣) سورة فصلت، آية: ٤٦.
(٤) أخرجه مسلمٌ في كتاب البر والصلة، جـ ١٦/١٨٣.
(٥) رواه مسلم في كتاب الزهد، جـ ١٨، ١٥٦، حـ ٢٩٨٥.

حيث ضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ مثلًا في كتابِه الكريم؛ حيث يقول: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وكلُّ دعوة تقوم على غير الإخلاص مِن حُبِّ السُّمْعة والرياء والشُّهرة، أو طلب الجاه والسياسة أو طلب الدنيا ومفاتنها؛ حريٌّ أن يتخبَّط أصحابُها، وأن يفشَل أمرُها.

وكم من دعوةٍ انتشر أمرُها في هذه العصور، وشاع صيتُها، وكثُر دعاتُها، ولكن مع الأسف يموت كثيرٌ من أعيانِها وهم يتخبَّطون في عقائد ومناهج تُخالف ما كان عليه سلفُ الأمة الصالح حيث أصبح كثيرٌ منهم لا يعرفون من الإخلاص إلَّا الحماس المجرَّد الذي يقوم على العواطف والانفعالات، من غير تحقيق علميٍّ، أو تأصيلٍ سلفيٍّ سُنِّيٍّ.

وليس ثمَّ ما هو أشدُّ خطراً على الدعوة من الفتن التي تعرض للقلوب؛ فتكون سبباً في فسادها؛ يؤكِّد ذلك ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

(والفتن الَّتي تَعرض على القلوب هي أسبابُ مرضها؛ وهي فتن الشَّهوات وفتن الشُّبُهات، فتن الغيِّ والضَّلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظُّلم والجهْل؛ فالأُولى توجِب فساد القصْد والإرادة، والثَّانية توجِب فساد العلم والاعتقاد)[2].

ولعلَّ من أوضح ما تتَّعظُ به القلوب وتُذكَّرُ به النُّفوس في أمر الإخلاص لله ـ تَعَالَى ـ في الدَّعوة إليه؛ سوءِ عاقبة المُرَائي يوم القيامة من النَّكال والفضيحة في اليوم الآخر، وما ينتظرُه من سوء مُنْقَلَبٍ وعاقبة؛ يقول النبي ﷺ: «إنَّ أوَّل النَّاس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأتي به، فعرَّفه نعمه، فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُّ، قال : كذبتَ؛ ولكن قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به، فسُحب على وجهه، ثم أُلقيَ في النَّار، ورجلٌ تعلم العلم، وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفَها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت؛ ليُقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقال قارئٌ؛ فقد قيل، ثمَّ أُمِر به، فسُحِبَ على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله

(١) سورة الزمر، آية: ٢٩.
(٢) «إغاثة اللَّهفان»، لابن القيم، (جـ١، ص١٢).

عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفَها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِر به، فسُحب على وجهه، ثمَّ أُلقي في النار»[١]، فليسْعَ العبدُ المسلم الخائف الوَجِل المراقِب لربِّه في محاسبة نفسه، ومعاتبتها في تصحيح نيَّتها، ومجاهدتها في ذلك، وليحذر كلَّ الحذَر من مداخل الشَّيطان على إخلاصه؛ فلا سلامة لقلوبنا إلَّا بمجاهدتها في سيرها إلى ربِّها، فالقلب السليم؛ كما يقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ:

(هو الَّذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شركٌ بوجهٍ ما؛ بل قد خلصت عبوديَّته لله ـ تعالى ـ إرادةً ومحبَّة، وتوكُّلًا وإِنابةً وإِخباتًا، وخشيةً ورجاءً، وخلُص عمله لله، والأمر الجامع لذلك: أنَّه الَّذي قد سلم من كلِّ شهوةٍ تُخالِف أمرَ الله ونهيَه، ومن كلِّ شُبهةٍ تُعارض خبره)[٢].

ومن هنا؛ فإنَّ الأمر جلَلٌ خطير في ظلِّ غياب الإخلاص في حياة الدَّاعية؛ حيث يُصبح الدَّاعيةُ ساعيًا في الفساد والإضلال، إذا فُقدَ الإخلاصُ في قلبه؛ فإنَّه إنْ أحبَّ، أحبَّ لهواه، وإِنْ أبغض، أبغض لهواه، وإنْ أعطى، أعطى لهواه، وإنْ منع، منع لهواه، لا ينضبط بالضَّوابط الشَّرعيَّة، ولا يترسَّم القواعد المرعيَّة؛ في غايته ومناه، وقصده ومرماه، يستدلُّ بهواه، لا يوفَّق لكلمة الحقِّ في الرِّضا والغضب؛ بسبب ما في قصْده وهواه وعدم إخلاصه لمولاه. ويشير إلى ذلك الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في قوله:

(ولمَّا كان أكثرُ النَّاسِ إنَّما يتكلَّم بالحقِّ في رضاه؛ فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخلُهُ رضاه في الباطل)[٣].

ولا شكَّ أن عدم الإخلاص يسلُك بصاحبه مسالك الهوى والرَّدى، ويجعل صاحبَه يتغذَّى من أغذيةٍ كثيرة تناسِب مقاصده ومراميه وتأخذه بعيدًا عن الحقِّ وساحته؛ وذلك لعدم إخلاص قلبِه، وثبات أمره أما من وقر في قلبه الإخلاص في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، جـ١٣، ٧٥، حـ ١٩٠٥.

(٢) «إغاثة اللهفان»، لابن القيم، (جـ١/ص٩).

(٣) «إغاثة اللفان »، (جـ١/ص٢٤).

جميع مقاصده ومراميه؛ فإنَّه يسلم من غِشاوَة القلوب التي لم يُرِدِ اللهُ تطهيرها؛ فترتكس حينئذٍ في مهاوي الزيغ والردى، يوضِّحُ ذلك ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ، حين قال:

(فالقلب الطَّاهر لكمال حياتِه ونوره، وتخلُّصه من الأدْران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذَّى إلَّا بحقائقه، ولا يتداوى إلَّا بأدويته، بخلاف القلب الَّذي لم يُطهِّره الله ـ تعالى ـ؛ فإنَّه يتغذَّى من الأغذية الَّتي تناسبُه)[1].

وقال ـ رحمه الله ـ كلمةً عظيمة مستوحاةً من مشكاة القرآن والنُّبوَّة من: أنَّ الإخلاص في العمل والدَّعوة يحفظ الإنسان من سلطان الشَّيطان؛ يقول ـ رحمه الله ـ:

(فالتَّوحيد والتَّوكُّل والإخلاص يمنع سلطانه)[2].

وممَّا يجب على دُعاة الإسلام: العلمُ بأنَّه لا نُصرة لهم إلَّا بالإخلاص، ولا عزَّة للأمَّة إلَّا بإخلاصِها وسلوكِها صراطَ ربِّها، وحبها سُنَّة نبيِّها ﷺ؛ فقد جعل الله الإخلاصَ سببًا في القوَّة على الأعداء من الكفَّار، وسببًا موجِبًا لنصرة دينه، وعزَّة المسلمين.

يقول الشَّيخ العلَّامة الشَّنقيطيُّ ـ رحمه الله ـ:

(فبيَّنَ أنَّه إِنْ عَلِمَ من قلوب عباده الإخلاص كما ينبغي كان من نتائج ذلك الإخلاص أن يقهَروا، ويَغلبوا مَن هو أقوى منهم؛ ولذا لَمَّا عَلِم ـ جلَّ وعلا ـ مِن أهل بيعة الرِّضوان الإخلاص، كما ينبغي ونوَّه بإخلاصهم بقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[3]؛ بيَّن أنَّ من نتائج الإخلاص: أنَّه ـ تعالى ـ يجعلهم قادرين على ما لم يقدروا عليه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾[4]، فصرَّح بأنَّهم غير قادرين عليها، وأنَّه أحاط بها، وجعلها غنيمة لهم لما عَلِم من إخلاصهم)[5].

---

(١) «إغاثة اللهفان»، (جـ١/ص٤٥).
(٢) «إغاثة اللهفان»، (جـ١/ص٨١).
(٣) سورة الفتح، آية: ١٨.
(٤) سورة الفتح، آية: ٢١.
(٥) «الإسلام دين كامل»، ص٤٩.

وخلاصة القول: أنَّ الدَّعوة إلى الله لن تؤتيَ ثمارَها في الدُّنيا والآخرة حتَّى تخلُص من شوائب الرِّيَاء والسُّمعة والبدعة المخالِفة.

يقول القرطبيُّ ـ رحمه الله ـ عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾:

(فالآية أصلٌ في خُلُوص الأعمال لله ـ تَعَالَى ـ، وتصفيتها من شوائب الرِّياء وغيره، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1])[2].

وللدعاة أسوة حسنة في أنبياء الله ورسله ومَن تبعهم على نهج النُّبوَّة؛ لا يبتغون بدعوتهم إلى دين ربِّهم إلا وجهه الكريم، وفضله العظيم.

فها هو نوحٌ ـ عليه السَّلام ـ يُعلنها في قومه فيقول ـ كما حكى الله عنه ـ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وكذلك هودٌ ـ عليه السَّلام ـ يقول: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[4].

وها هو نبيُّ الرَّحمة يُعلنُها في قومه فيقول: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5].

وهذا النهج يدفع إلى إتقان العمل وإجادته، ويكون داعيةً بحقٍّ إلى الإسلام بقوله وفِعْله؛ وما ذاك إلَّا للإخلاص المتأجِّج في قلبه.

والداعية المخلص هو الَّذي يجنِّب دعوته للإسلام مضارَّ الانحراف البدعيَّة الَّتي تحرف الدَّعوة عن منهجها الصَّحيح.

وهو الَّذي يسلُك سبيل سلف الأمَّة، ويسلُك في دعوته سبيل المرسَلين، ويتَّبع طريق

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.
(٢) «تفسير القرطبيِّ»، (١٨١/٥).
(٣) سورة هود، آية: ٢٩.
(٤) سورة هود، آية: ٥١.
(٥) سورة الشورى، آية: ٢٣.

الصَّحابة والتَّابعين.

وهو الَّذي يقوده إخلاصُه بقوَّةٍ لنجاح الدَّعوة، ويسعى بها لمعالمِ نجاحها، ومنهجِ سلفِها، والبُعدِ عن أسباب خُذلانها.

ويترتَّب على هذا: أنَّ الدَّاعية لا بدَّ أن يكون سليمًا في عقيدته ومنهجه، بتحقيق منهج الرَّسول ﷺ الذي سار عليه سلف الأمة فيما يعتقده، ويؤمن به، ويعمل به، ويدعو إليه؛ وذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[1]؛ فَشَرَطَ الله ـ جلَّ وعلا ـ الإيمانَ، وسلامة العقيدة حتَّى يكون العامل ـ ولاسيما الداعية ـ على أساسٍ سليم، وأصلٍ أصيل؛ وإلاَّ إذا لم يكن سليمًا في أصله وأساسه، فإلى ماذا يدعو وقد فسد أصلُه وأساسُه؟

وبذلك يظهُر خطأُ كثير من الدعوات الَّتي رفعت شعارَ الدعوة من غير تحقيق في عقيدة دُعاتها؛ فأهمُّ شيءٍ عندهم جمعُ الأمَّة، وانضواءُ تلك الجُموع تحت مسلك دعوتها، غيرَ محقِّقين في تلك العقيدة الَّتي يحملُها دعاتُها، فمتى رفع أحدُ النَّاس حبَّ الإسلام والدَّعوة إليه، وأظهر حماسًا في ذلك؛ أصبح هذا الدَّاعية مسدَّدًا عندهم، ولو كان يسلُك مسالك أهل البدع والأهواء في دعوته.

وما كانت تلك المفاهيم لتظهر إلَّا بسبب رفع لواء الإخلاص والحماس بمفهومه الخاطئ؛ فكلُّ متحمِّسٍ لأمر الدَّعوة يُنعتُ بالإخلاص وصحَّة المسار، وهذه نظرةٌ خاطئة في فهم الإخلاص، فليس الإخلاص وحده كافيًا في صحَّة العمل وسلامته؛ ما لم يكن ذلك الإخلاص مقترنًا بصحَّة العمل، وسيره على السيرة النَّبويَّة، والمنهجيَّة السُّنِّيَّة، وسلامة العقيدة الَّتي يحملُها ذلك القلْبُ المخلِص.

فمن لم يكن سائرًا على المنهج الصَّحيح في دعوته، ومترسِّمًا خُطى الرَّسول ﷺ فلْيقدْهُ حماسَه وحبُّه للدين لِتفقُّدِ عملهِ وتصحيحِ خطئه؛ فليس معنى الإخلاص هو ذلك الحماسُ العارمُ الذي لا يقف عند حدود الشَّرع ولا ينضبطُ بضوابط السُّنَّة.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٢٤.

المبحث الثاني

الدعوة بعلم وبصيرة في الدين

عرفت فيما سبق أهميَّة الإخلاص في الدعوة إلى الله؛ فليُعلم أنَّ الدعوة بإخلاص تتطلَّب من الداعية : أن يكون داعية على بصيرة ونور من الكتاب والسنَّة؛ بحيث يُنتج الإخلاصُ ثمرتَه، إذْ بالعلم يعرف الداعيةُ جادَّتَه الصحيحة، وبدون علم ستعظُم جنايتُه على الدين والأمَّة، «فكيف يكون دليلًا إلى الشريعة من لا يعرف الشريعة؟!»(١).

فإذا كان الداعية لا يحمل من العلم شيئًا، فإلى أيِّ شيء يدعو؟ ومن أيِّ معين يستقي لدعوته؟ وما أخطأ مَن أخطأ في سبيل الدعوة إلَّا بسبب جهله، وبُعْده عن هذا النور الإلهي الذي سمَّاه الله ـ جلَّ وعلا ـ روحًا؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾(٢)، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(٣)، فجعل الله حياة القلوب والأرواح والمجتمعات جميعًا بهذا العلم الموروث عن رسول الله ﷺ؛ فهو قوت القلوب ونورُها، وهو دليلُها وقائدها إلى مرضاة ربِّها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤)؛ فأخبر الله ـ تعالى ـ أنَّ كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ متضمِّن للروح التي تحيا به القلوب، والنور الذي يهدي إلى صراط مستقيم.

ولك أن تتأمَّل قولَه ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٥).

وقد تحدَّث الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ عن هذه الآيات مُفصحًا عمَّا تحمله من

---

(١) «الصحوة الإسلامية»، للشيخ: محمد صالح العثيمين، (١٧٢).
(٢) سورة غافر، آية: ١٥.
(٣) سورة الشورى، آية: ٥٢.
(٤) سورة الشورى، آية: ٥٢.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

دلالاتٍ عميقةٍ في الجمع بين الحياة والنور حين قال:

(فجمع بين الأصلين: الحياة والنور؛ فبالحياة تكون قوَّتُه وسمعُه وبَصرُه وحياؤُه وعِفَّتُه وشجاعتُه وصبرُه وسائر أخلاقه الفاضلة، ومحبَّته للحُسْن وبغضهُ للقبيح؛ فكلَّما قويت حياتُه قويت فيه هذه الصفات، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (هلك من لم يكن له قلبُ يعرف به المعروف ويُنكر به المنكر)[1].

ومما يدلُّ على عظيم فضل العلم ـ وخصوصًا للداعية إلى الله ـ أمورٌ منها:

١ ـ أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ أمر نبيَّه في أوَّل الأمر بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾[2].

وكذلك فقد امتنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ على خلْقه أجمعين بأن بعث إليهم رسولًا معلِّمًا ومربِّيًا؛ حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾[3].

٢ ـ أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ جعل الجاهل بالكتاب والسنَّة بمثابة الأعمى الذي لا يُبصر شيئًا؛ حيث يقول ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾[4]، ويكشف شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن مزالق الذين يَصْدُرُون عن الجهل، وما ينطوي عليه ذلك من بُعْدٍ عن مسلك أهل العلم والأثر؛ حيث يقول ـ رحمه الله ـ:

(فأحدهم ظالم جاهل، لم يسلُك في كلامه مسلك أصاغر العلماء، بل يتكلَّم بما هو من جنس كلام العامَّة الضلَّال والقُصَّاص الجهَّال، ليس في كلام أحد منهم تصويرٌ للصواب، ولا تحريرٌ للجواب؛ كأهل العلم أولي الألباب)[5].

٣ ـ أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ أمر بالرجوع إلى أهل العلم لمعرفة الحق والعمل به؛ حيث

---

(١) «إغاثة اللهفان»، (١/١٧).
(٢) سورة العلق، آية: ١.
(٣) سورة الجمعة، آية: ٢.
(٤) سورة الرعد، آية: ١٩.
(٥) «الردّ على البكري»، لابن تيمية: (٧٤).

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، ويوضِّحه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وفي بيان ذلك يقول العلَّامة السعدي ـ رحمه الله ـ: (وعموم هذه الآية فيها مدحُ أهل العلم، وأنَّ أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزَّل؛ فإنَّ الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الجوانب، وفي ضمنه تعديلٌ لأهل العلم وتزكيةٌ لهم حيث أمر بسؤالهم)[3].

ومن خلال هاتين الآيتين يتبيَّن خطرُ الجهل على المسلم؛ خاصَّةً من يتصدَّر لأمور الدعوة؛ ففي تنصيب الجاهل فسادٌ للأمَّة؛ حيث يقول ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعُه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتّخذ الناسُ رؤوسًا جهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلُّوا وأضلُّوا»[4].

يقول الإمام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ في بيان معنى هذا الحديث:

(وكذلك من أراد أن يجعل الجاهل معلِّمًا للنَّاس مُفْتيًا لهم؛ فمثل هذا يوجب الفساد في العالَم)[5].

٤ ـ أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ قد جعل أهلَ العلم في مكانة عظيمة، ألا وهي أنَّهم شهداء على وحدانيَّته، فرضي الله عن شهادتهم تشريفًا لهم، ولِمَا يحملون من علم وهداية للناس، يقول ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[6].

فالدعوة إلى الله ملازمةٌ للعلم والبصيرة، وفي هذا يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ:

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٣.
(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.
(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للشيخ: عبد الرحمن السعدي، (جـ٤/ص١٠١).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ج١، ٢٦٢، حـ١٠٠.
(٥) «الفتاوى»، (٣٤٤/١٤).
(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(والدعوة إلى الله ملازمةٌ ومتضمنةٌ للعلم؛ لأنَّ من شروطها العلم بما يدعو إليه الداعي)[١].

ويقول ـ تَعَالَى ـ عن أهل العلم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢].

ويقول ﷺ في وصف العلم: (فمن أخذه أخذه بحظٍّ وافر)[٣].

فهذه الأدلَّة والبراهين لتحفِّز الداعيةَ الناصحَ على التزوُّد من العلم وطلبه؛ لأنَّه بنيله العلم يكون قد نال الفضْل بنفسه من الله ـ جلَّ وعلا ـ، وحاز الرفعة والشَّرف؛ أنْ جعله الله من الدعاة إلى الله بعلم وبصيرة.

فلا بدَّ للداعية من العلم بما يُشرع وما لا يُشرع؛ بأن يميِّز بين السنَّة والبدعة، والحسنة والسيِّئة، والحلال والحرام، وأن يعرف الشرك والتوحيد؛ إذ إن هذا هو موضوع الدعوة، يؤكِّد ذلك الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ، حين قال:

(وأخبر ـ سبحانه ـ أنَّ الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل النبي ﷺ، وهي سبيل أتباعه من أهل العلم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[٤]، فالواجب علينا: أن نُعنى بهذه المهمَّة أينما كنَّا)[٥].

ويمكن للداعية أن يقف على فضل العلم وخطورة الجهل عليه من خلال قوله ﷺ: «إنَّما شفاء العيِّ السؤال»[٦].

وذلك حينما أفتى بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ رجلًا أصابه حجرٌ فشجّ رأسه؛ بأنّه لا يترخَّص بالتيمُّم، فاغتسل فمات، فلمَّا قدِموا إلى النَّبي ﷺ أخبروه

---

(١) «مجموع الفوائد»، ص٢٢١.
(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.
(٣) أخرجه أبو داود في باب العلم، جـ١٠/٥٢، حـ ٣٦٣٦.
(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٨.
(٥) «مجلّة البحوث » عدد: (٣٨/٣٠٢).
(٦) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، جـ١/٣٦٦، حـ٣٣٢.

بذلك، فقال: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذْ لم يعلموا، إنَّما شفاء العيِّ السؤال».

ويُوضِّحُ الإمام الخطَّابي ـ رحمه الله ـ عن دلالة هذا الحديث بقوله: (في هذا الحديث من العلم: أنَّه عابهم بالفتوى بغير علم، وألحق بهم الوعيد بأن دعا عليهم وجعلهم في الإثم قَتَلَةً له)[1].

وبعد أن عرفنا مكانة العلم وأهميَّته في الدعوة إلى الله، ينبغي أن تعرف حقيقة العلم النافع في الدنيا والآخرة، ولمعرفة هذه الحقيقة العظيمة أسوق إليك أخي القارئ بعض كلام أهل العلم في ذلك حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: (وليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل، الذين يرون أنَّهم يسلكون مسلك العلماء، تسمع من أحدهم جعجعة ولا ترى طحنًا، فترى أحدهم أنه في أعلى درجات العلم، وهو إنَّما يعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، ولم يحُم حول العلم الموروث عن سيِّد ولد آدم ـ ﷺ)[2].

ويقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في حقيقة العلم وأثره:

(شبَّه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث؛ لما يحصل لكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية، كما أنَّ القلوب تعي العلم فيثمرُ فيها ويزكو، وتظهرُ بركتُه وثمرتُه)[3].

ويقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

(المراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من أمر دينِه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره)[4].

ويقول شيخ الإسلام:

(والعلم هو: ما بعث الله به رسوله ﷺ، وهو السلطان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾[5]؛ فمن تكلَّم في

---

(١) «معالم السنن»، للخطابي: (١/٨٩).
(٢) «الردُّ على البكري»، لابن تيمية: (٧٤).
(٣) «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم: (١/٦٠).
(٤) «الفتح»: (١/١٤١).
(٥) سورة غافر، آية: ٥٦.

الدين بغير ما بعث الله به رسوله كان متكلِّمًا بغير علم، ومن تولاه الشيطان؛ فإنَّه يُضلُّه ويهديه إلى عذاب السعير)[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ: (والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرَّسول)[٢].

وقد أكَّد ـ رحمه الله ـ بجلاءٍ طريقةَ أهل البدع في أخذهم للعلم؛ حيث قال:

(وإنَّما يتكلَّمون بحسب آرائهم وأهوائهم؛ فيتكلَّمون بالكذب والتحريف، فيُدخلون في دين الإسلام ما ليس منه)[٣].

فالسلامة من البدع والمخالفات تكون بنيل العلم على فهم سلف الأمَّة، يؤكِّد شيخ الإسلام ذلك حيث قال ـ رحمه الله ـ:

(ولكن كلُّ من لم يكن علمُه وعملُه يرجع إلى العلم الموروث عن الرَّسول، مقتديًا بالشريعة النبويَّة؛ لم يخلُص من الأهواء والبدع بل كلُّه أهواء وبدع)[٤].

وعلى هذا التقرير الذي قرّره شيخ الإسلام فإن من أوصاف أهل البدع الاعتماد حقيقةً على أصولٍ ابتدعها شيوخهم لا يحيدون عنها وفي هذا يقول شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ:

(فلمَّا حدث في الأمَّة ما حدث من التفرُّق والاختلاف، صار أهل التفرُّق شيعًا؛ صار عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصولٍ ابتدعها شيوخهم)[٥].

فالواجب على الداعية أن يكونِ متحلِّيًا بالعلم الشرعي الذي به يرفع الجهل عن نفسه وعن غيره، عارفًا بالسنَّة والبيان والحجَّة والبرهان؛ فالعلم يرفع الداعية إلى الله من الوقوع في حضيض البدع والأهواء؛ فتقوى حجَّتُه، ويستقيمُ حاله؛ يؤكِّد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ؛ حيث يقول:

---

(١) «الفتاوى»، (٣٩/٢٨).
(٢) «الفتاوى»، (١٣٦/١٣).
(٣) «الردُّ على البكري»، (٧٥/٧٤).
(٤) «الردُّ على البكري»، (٧٥/٧٤).
(٥) «مجموع الفتاوى»، ١٣/ ٥٨.

(إنَّ الصادق يعتمد على الحجَّة والبرهان؛ فلا تجد في كلامه كذبًا ولا تلبيسًا ولا ادِّعاءً مجرَّدًا، ولا تقع من سلوكه في دعوته على التواءٍ، ولا تناقُض، ولا اضطِّرَابَ)[1]

وعلى ضوء هذه النقولات العلميَّة عن علماء الأمَّة المحمديَّة يتَّضح لك ـ أخي الداعية ـ أنَّه ليس كلُّ ما ادُّعي بأنَّه علمٌ يُعدُّ علمًا؛ ما لم يكن ذلك العلم مأخوذًا من مشكاة النبوَّة، مقيَّدًا بالضوابط الشرعيَّةِ، مقترنًا به فعلُ المأمور وترك المحظور، معتصمًا صاحبُه بالكتاب والسنَّة، مدعمًا دعوته بالحجَّة والبُرهان، مجتنبًا الأهواء والآراء، مبتغيًا بعلمه الأجر والثواب، سائلًا ربَّه السداد والصواب.

وكما يظهرُ من خلال النقولات العلميَّة في أهميَّة العلم للداعية، خطأُ كثير من الدعوات المنتشرة اليوم باسم الدعوة والحرص عليها؛ حيث يسيح أفرادها ويجوبون أقطار العالم باسم الدعوة إلى الله، مع جهلهم وقلَّة علمهم، حتى أصبح ينطوي تحت لوائها كثيرٌ من الناس والدهماء على غير أساسٍ من العلم الصحيح المستضيء بنور الكتاب والسنَّة على فهم سلف الأمَّة.

والناظر في كثير من الدعوات المنتشرة والتنظيمات المختلفة يرى بعين البصيرة أنَّها بالنسبة للعلم وتحصيله على أصناف متباينة، فجاهلٌ بالعلم الشرعي، وغير مُبالٍ بتحصيله، ولا يعيرُه اهتمامًا في وقته وحياته، وآخر يستخدم العلم الشرعي لبثِّ مفاسده، وتلبيس بدعته، وذلك بِلَيِّ أعناق النصوص الشرعيَّة؛ لتخدم ما هو عليه من رأي وهوى، يطلُب العلم لا على قواعد أهل العلم والبصيرة، بل على طرق أهل البدع والهوى، وهي طريقة يسلُكها بعض أهل الطرق القديمة والحديثة لخدمة ما هم عليه، وفي بيان حال هؤلاء وأمثالهم يقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: (وهذه هي حال هذه الفرق الحادثة في الشريعة مع الشريعة، وذلك أن كلَّ فرقة منهم تأوَّلت في الشريعة تأويلًا غير التأويل الذي تأوَّلته الفرقُ الأخرى، وزعمت أنَّه الذي قصدَه صاحبُ الشرع، حتى تمزَّق الشرع كلَّ ممزَّق، وبعُد عن موضوعه الأوَّل)[2].

---

(١) «الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية»، لابن باديس، (ص/١٧).

(٢) «الصواعق المرسلة»، (٢/٤١٦).

فالعلم النافع هو علم الكتاب والسنَّةِ على فهم سلف الأُمَّة بعيدًا عن التلبيسات المكسوَّة بحلَّة الفصاحة، والعبارة الرشيقة على غير أساسٍ علميٍ مكين، فيكون بذلك فتنةً للذين لا يعلمون، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: (أن يأتي به صاحبُه مموَّهًا، مزخرف الألفاظ، ملفَّق المعاني، مكسوًّا حُلَّة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتُسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادُر إلى اعتقاده وتقليده)[1].

فعلى الدَّاعية المسدَّد أن يكون متَّصفًا بصفة العلم والبصيرة على مفهومها الصحيح، وعلى ما أراد الله ورسولهُ ـ ﷺ.

---

(١) «الصواعق»، (٢/٤٣٦).

المبحث الثالث

الحلم والصبر على الأذى

الصبر من الصفات العظيمة التي وصف الله بها ـ عزَّ وجل ـ المتَّقين، وعلى رأس هؤلاء: رسلُ الله وأنبياؤه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بل جعلها الله من صفات أهل الجنَّة؛ حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[1]؛ فتلك صفاتٌ لا يتصف بها الا أهل الصبر.

وقد تحدَّث شيخ الاسلام عن معنى الصبر وأهميَّته؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ:

(ولهذا كان الصبرُ واجبًا باتِّفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخُل في ذلك: الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، والصبرُ عن اتِّباع أهواء النفوس مما نهى الله عنه، وقد ذكر اللهُ الصبرَ في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وقرنه بالصلاة في قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾)[2].

فالصبر خصلةٌ مهمَّةٌ للدَّاعية الذي يُريد نجاح دعوته للإسلام والسنَّة؛ لأنَّ الناس تجاه الدعوة تختلف أفهامُهم، وتكثُر شبهاتُهم، ممَّا يؤثِّر على مدى استجابتهم؛ فبقدر ما في الداعية من صبرٍ وتحمُّلٍ يكون مدى استجابة الناس له؛ لأن الصبر له أثرُه البالغُ في نفوس الناس، وذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[3].

ومِمَّا يدلُّ على ذلك: أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ يعطي على الرفق والصبر ما لا يعطي على

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.
(٢) «الفتاوى»: ١٠/٣٩.
(٣) سورة فُصِّلت، آية: ٣٤.

الجزع والعنف، وفي ذلك يقول ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»(١).

وهاهو رسولُ الله ﷺ يجسِّد لنا صور الصبر في أروع أشكاله؛ عندما رَدَّ قومُهُ دعوتَه وآذوه، فلم يقبلوها، فعرض عليه ملكُ الجبال أن يُطبق عليهم الأخشبين، فإذا بصُور الصبر والحلم تتضح وتبرُز في أحْلك الظروف والأحوال؛ حيث قال ﷺ: «بل أرجو أن الله يُخرج من أصلابهم من يعبُد الله وحدَه لا يُشركُ به شيئًا»(٢).

فما أعظمَ صبره ﷺ وتحمُّله وحِلمه في سبيل الدعوة للإسلام.

ولا يدفعُ الداعيةَ إلى هذه الصفة العظيمة الجليلة إلَّا إخلاصُهُ ويقينُه وإيمانُه بالله؛ لأنّه بصبره وحلمه يعظُمُ أجرُهُ، ويقوى أثرُهُ، ويزيدُ إيمانُهُ حتى يحتسب كلَّ أمرٍ يصيبُه في سبيل الدعوة إلى الله في جانب الله؛ مبتغيًا الأجر والثواب، وما أعدَّه الله لأولي الألباب.

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا تعرَّض لأذيَّة من قومه لا يزيدُ على قوله: «يرحم الله موسى؛ قد أوذيَ أكثرَ من هذا فصبر»(٣).

ولا بد أن يُعلم أنه ليست قوَّة البدن وحدها هي القوَّة التي يتميَّز بها الإنسان؛ فهي موجودة في الحيوان أكثرَ منها في الإنسان، ولكن القوَّة التي يتميَّز بها الإنسان ـ وينبغي أن يتحلَّى بها الداعية في كلِّ مواقفه ـ هي قوَّة ضبط النفس بعيدًا عن الإثارات والانفعالات، بعيدًا عن الغضب والحماس المُفْرط؛ يقول ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة؛ إنَّما الشديد الذي يملك نفسَه عند الغضب»(٤).

إذ الغضب من شأنِه أن يُفسدَ على الإنسان تصرَّفه، ويحول بينَه وبين الرشد في إصلاح أموره؛ حيث يقول ﷺ للرجل الذي سأله النصيحة: «لا تغضب»(٥)، وكرَّرها

---

(١) رواه مسلم في كتاب البرِّ والصلة، جـ١٦، ٢٢٠، حـ/٢٥٩٣.
(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، جـ ٦/٤٥٨، حـ/٣٢٣١.
(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، جـ ٧/٩٧، حـ/ ٣٤٠٥.
(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، جـ ١٢/ ١٤٨، حـ/٦١١٤.
(٥) رواه البخاري في باب الأدب، جـ ١٢/ ١٤٨، حـ/ ٦١١٦.

مرارًا.

بل قد جعل العلماءُ ـ رحمهم الله ـ حكمًا شرعيًا فيمن يشتغلُ بالدعوة إلى الله وليس متَّصفًا بالصبر والحلم؛ حيث حكموا عليه بعدم صلاحيَّته للدعوة إلى الله، وأن الدعوة لا تُشرع في حقِّه، يقول الإمام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: (فإن أدَّى ذلك إلى شرٍّ أعظم منه لم يُشرع؛ مثل أن يكون الآمر لا صبر له، فيؤذَى، فيجزع جزعًا شديدًا يصير به مُذنبًا وينتقص به إيمانُه ودينُه؛ فهذا لم يحصل به خيرٌ لا له ولا لأولئك، بخلاف ما إذا صبر واتَّقى وجاهد، ولم يتعدَّ حدود الله، بل استعمل التقوى والصبر، فإنَّ هذا تكون عاقبتُه حميدة»[(١)].

وممَّا يدلُّ على أهميَّة الصبر في حياة الداعية: أن الله ـ عزَّ وجل ـ جعل الصبر صفةً من صفات عباده العالمين، المخالفين لسبيل الجاهلين، حيث يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[(٢)].

بل قد جعل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الصبر سببًا للفلاح والفوز والنجاة؛ حيث يقول ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[(٣)].

ومن عظيم أثر الصبر ونتاجه : أن الله ـ جل وعلا ـ جعل الصبر والتحمُّل في سبيل الدعوة إليه سببًا في الإمامة في الدين، يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ:

(وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٤)]؛ فإنَّ الدين كله عِلْمٌ بالحق، وعملٌ به، والعمل به لا بدَّ فيه من الصبر، وطلبُ علمه يحتاج إلى الصبر)[(٥)].

ومـمَّا يدل على أهميَّة الصبر ـ خصوصًا للدعاة السائرين على منهج الحقّ، الداعين

---

(١) «الفتاوى»، (١٤/٤٧٣).
(٢) الفرقان، آية: ٦٣.
(٣) آل عمران، آية: ٢٠٠.
(٤) السجدة، آية: ٢٤.
(٥) «الفتاوى»، (١٠/ ٣٩).

إليه -: أن الله - جلَّ وعلا - جعل دخولَ الجنَّة، والفوز بالدرجات العلى من نتاج الصبر على دينِه؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[1].

بل لقد جعل الله - جلَّ وعلا - لكل عملٍ جزاء مقدَّرًا إلَّا الصبر؛ فإنَّه فوق التقدير والحساب، يقول - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

فيجب على المؤمن - خاصَّةً داعية أهل السنة والجماعة -: أن يصبر في مواطن الحق؛ حيث طريقُ الأنبياء والصالحين، وحيث دليل العزْم والقوَّةِ؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[3].

ويقول - تَعَالَى -: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾[4].

فالصبر دليل القوّة والدوام والاستمرار، يؤكِّد ذلك الشيخ العلامة ابن باز - رحمه الله -؛ حيث يقول:

(لكنَّه ﷺ لم يُبال بذلك، ولم يكترث به، بل صبر واحتسب، وسار في الطريق، ولم يزل داعيًا إلى الله - عزَّ وجل -، صابرًا على الأذى، مجاهرًا بالدعوة، كافًّا عن الأذى، متحمِّلًا له، صافحًا عمَّا يصدُر منهم حسب الإمكان)[5].

ويؤكد - رحمه الله - أن الصبرَ طريق الأنبياء والمرسلين، وأنَّه سبيلٌ لنجاح الداعية؛ حيث يقول:

(وليس هناك طريق أصلح للدعوة من طريق الرسل، فهم القدوة، وهم الأئمة، وقد

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٣.
(٢) سورة الزُّمر، آية: ١٠.
(٣) سورة لقمان، آية : ١٧.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.
(٥) «فضل الدعوة»، ص٣.

صبروا صبر نوحٍ على قومه ألفَ سنة إلا خمسين عامًا، وصبر هودٌ، وصبر صالح، وصبر شُعيب، وصبر إبراهيم، وصبر لوط، فاصبر وصابر، واستعمل الرِّفْق، ودعْ عنك العنف، ودع كلَّ سبب يُضيِّقُ على الدعوة ويضرُّها، ويضرُّ أهلَها)[1].

وما أحوج الداعية إلى منهج السلف إلى أن يصبر ويحتسب، ويتسلَّح بسلاح الحِلم والصبر؛ وذلك في وجه تلك الحملات الحاقدة ضدَّ أهل السنة أتباع سلف الأمَّة من أهل البدع والأهواء وأتباع الحزبيات الفكرية الجماعية الوافدة المنتشرة اليوم.

يقول الإمام أبو إسماعيل الصابوني ـ رحمه الله ـ في عقيدته

(وعلامات البدع على أهلها ظاهرةٌ بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدَّةُ معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم، واستخفافهم لهم، وتسميتهم إيَّاهم حشويةً وجهلةً وظاهريةً ومشبِّهة)[2].

يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

(ولمَّا كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ لقوا من أهل الكلام والبدع مثل ما لقيه النبي ﷺ وأصحابُه من أولئك المشركين؛ فكانت كلُّ طائفة من هذه الطوائف تُلقِّبُ أهلَ السنة بما برَّأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية؛ إمَّا لجهلهم بالحقِّ؛ حيث ظنُّوا صحَّة ما هم عليه وبُطلان ما عليه أهل السنة، وإمَّا لسوء القصد؛ حيث أرادوا التنفير عن أهل السنة والتعرُّض لآرائهم من علمهم بفسادها)[3].

وما من ذنب لداعية المنهج السلفي في ذلك التشنيع الموجَّه إليه إلَّا أنَّه التزم منهج السلف الصالح في دعوته وعبادته، ووقف بالتحذير والبيان لخطورة كثيرٍ من الدعوات المنتشرة المخالفة لمنهج الأوَّلين السابقين من السلف الصالح.

ومهما يكن من أمرٍ، فلا بدَّ للداعية من الالتزام بمنهج السلف الصالح دون الالتفات إلى ما قد يُواجهه من حملاتٍ مُغرضةٍ من أهل الأهواء والبدع، على أن هذه الحملات ليست وليدةَ هذا العصر؛ يؤكد ذلك الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ بقوله:

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية»، (ع٣٨، ص٢١٠).
(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبي إسماعيل الصابوني، ص١٠١.
(٣) «رسالة في العقيدة»، للشيخ ابن عثيمين، (ص١٠٤).

(ولمَّا أراد المتأوِّلون المعطِّلون تمام الغرض اخترعوا لأهل السنَّة الألقاب القبيحة؛ فسمَّوهم: حشوية، ونواصب، ونوابت، ولقوا منهم ما لقي الأنبياء وأتباعهم من أعدائهم، وهذا الأمرُ لا يزالُ في الأرض إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها)[1].

وهذا قليلٌ من كثير ممَّا ذكره علماء أهل السنَّة في بيان وجوب الصبر والحلم لداعية أهل السنة في مواجهة ما يكيد له أعداؤه من أهل البدع والشِّقاق، فعلى المتَّبع لمنهج السلف أن يتدبَّره ويتأمَّله؛ فإنَّه في غاية الأهميَّة في هذه الأزمان، فما أحوج داعية أهل السنة إلى الصبر على دُعاة الباطل، وذلك بالصبر على أذاهم، وكشف زيفهم وبدعهم؛ ليحذرهم المسلمون، فذلك دليل صدق الطلب، يؤكِّد ذلك ابن القيِّم، بقوله ـ رحمه الله ـ:

(فالبصير الصادق لا يستوحش من قِلَّة الرفيق، ولا مِن فقده إذا استشعر قلبُه مرافقةَ الرعيل الأوَّل الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين؛ فتفرُّد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب)[2].

ومن هنا يتضح لك أخي الداعية أنَّ فوائد الصبر، وثمارَه وما أعدَّه الله للصابرين لا يكون إلَّا لمن فهم الصبر على المفهوم الصحيح؛ وذلك بالسير على طريق الحق، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

ومن خلال ذلك يُعلم خطأُ كثير من الدعوات التي تفهم الصبر على غير مفهومه الشرعي، فتجدهم وقد أوقعوا الأمَّة في المحن والبلايا والفتن والقلاقل، وعرَّضوا شباب الأمة للهلاك، وما ذاك إلَّا لقصور فهمهم في معنى الصبر الشرعي؛ حيث يقوم كثيرٌ من دعاة تلك الحركات والتنظيمات الدعويَّة بتوجيه أفرادها وشبابها لمنازعة أولى الأمر أمرَهم، ومن ثمَّ إثارة الشعوب عليهم، وإدخال تلك الأساليب والطرق في مسمَّى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سالكةً في ذلك مسالك الخوارج الأُول، إن لم تكن أشدَّ، وإذا ما عمَّت الفتنة البلاد والعباد، قام هؤلاء يتلون آيات الصبر والمصابرة، وكثيرًا من الأحاديث الآمرة بالصبر عند الابتلاء، غير ناظرين إلى أساليبهم الدعوية الخطيرة

(١) «الصواعق المرسلة»: (٢/٤٤١).
(٢) «إغاثة اللهفان»: (١/٥٥).

المنافية للسنة النبويَّة، وما علموا أنَّ الصبر بعد هذه الأساليب الخاطئة ليس إلا اجتهادٌ في الباطل، وتغريرٌ بشباب الأمَّة.

فإنَّ الواجب على هؤلاء: النظر في تلك المسالك الخاطئة وتصحيحها، وسلوك المنهج السليم في ذلك؛ فالاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة والفتنة؛ فلا يجوز لهم التعرُّض للبلاء والفتنة، يؤكد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ ذلك بقوله:

(ولهذا كُره للمرء أن يتعرَّض للبلاء؛ بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبُه الشارعُ عليه)[1].

ويقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في بيان خطأ ما يكون من أتباع الأحزاب والفرق في فهمهم الخاطئ للصبر المشروع، وغشيانهم لأبواب الفتن:

(نهيُه ﷺ عن قتال الأمراء والخروج على الأئمَّة وإن ظَلموا وجاروا ما أقاموا الصلاة؛ سدًّا لذريعة الفساد العظيم، والشرك الكثير بقتالهم؛ كما هو الواقع، فإنَّه حصل بسبب قتالهم، والخروج عليهم أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن)[2].

وعليه فيجب على: (الداعي ألَّا يستدعي الأذى لنفسه، بل يعمل على عدم وُقوعه، وإذا وقع عمل على رفعه بكلِّ وسيلة مشروعة في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة)[3].

وينبغي للداعية أن يكون على فقه وبصيرة للضوابط الشرعية والقواعد المرعيَّة في مثل هذه الأبواب، حتى لا تزلَّ قدمه، ولا يضلَّ فَهمُهُ.

---

(١) «الفتاوى»، (٣٨/١٠).
(٢) «إعلام الموقِّعين»، (١٤٩/٣).
(٣) رسالة «حكم استدعاء البلاء»، للشيخ: عبد الله العبيلان، (ص٩).

الفصل الثاني

الضوابط المتعلقة بالمدعو

- ويتكوَّن من أربعة مباحث:

❑ المبحث الأول: مراعاة الفوارق بين دعوة المسلمين وغيرهم.

❑ المبحث الثاني: مراعاة الفوارق بين دعوة أهل الجهل وأهل الهوى.

❑ المبحث الثالث: مراعاة الفوارق بين دعوة الحكام والمحكومين.

❑ المبحث الرابع: مراعاة الفوارق بين المدعوين من حيث القدرة والشرف والسن.

المبحث الأول

مراعاة الفوارق بين دعوة المسلمين وغيرهم

إنَّ على الداعية المسلم أن يُراعي الفوارق الدعويّة بين المسلمين وغير المسلمين؛ وذلك من حيث الأسلوب في الدعوة لهؤلاء وأولئك ؛ وممّا هو معلومٌ أنّ النبي ﷺ قد وجَّه الدعوة لعموم الناس مؤمنهم وكافرهم؛ ولكلّ من هذين الصنفين طريقة في دعوته وبيان الحقّ له، والمنهج العام الذي يجمع مسائل الدعوة هو الدعوة إلى توحيد الله ـ عزّ وجل ـ وإفراده بالعبوديّة ونبذ عامّة الشركاء؛ فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١)؛ فأوّل دعوةٍ توجّه لهؤلاء الكفّار هي الدعوة إلى الأمر الذي لا تصحّ أعمالُهم إلاَّ به، ألا وهو أمرُ التوحيد، وذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ ...(٢) الآية.

● **وثمَّ أمورٌ يجب أن يضعها الداعية نصبَ عينيه في هذا الصدد، ومنها مايأتي:**

١ ـ أن يراعي الداعيةُ هذا الأمرَ؛ إذْ هو أوّل أساس وأصل يُدعى إليه الكفّار، وذلك ما دلّ عليه قولُه ﷺ حينما قال لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه: شهادةُ أن لا إله إلَّا الله»، وفي رواية: «إلى أن يوحّدوا الله»(٣)؛ ولذلك كان أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ألاَ وهو نوحٌ عليه السلام ، دعا إلى التوحيد ونبذ الشركاء كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾(٤).

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦ .
(٢) سورة التوبة، آية: ٥٤ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة جـ ٣/٤ ح١٣٩٥.
(٤) الأعراف آية ٥٩.

٢ ـ أن يُوقفَ الداعيةُ هؤلاء المشركين بعين الواقع، وبمسالك الحجّة والبُرهان، وضرب الأمثال، على حقارة الآلهة التي يدعونها من دون الله، وأنها لا تنفع ولا تضرّ، ولا حولَ لها ولا قوّة، فهي محتاجةٌ لغيرها، فضلًا عن نفعها لغيرها؛ ويُقيم الحجّة البالغة على انعدام الفائدة فيها، وأنها أحوج ما تكون إلى رحمة الله وفضله، فضلًا عن عبادتها والتوجُّه إليها؛ وذلك كما فعل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وسط قومه؛ فقد أوقفهم على حقيقة ما يعبدون، حيث أوقف قومَه بأسلوب الحجّة والمناظرة على عدم قدرة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأنّها خلْقٌ من خلق الله؛ فما هي إلّا كواكب، وشمس، وقمر، تَطلُع وتأفُل، لا تستحقّ وصف الألوهيّة، بل هي بحاجةٍ إلى مَن يُسيِّرُها ، ثم قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[١] . وها هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُوقف قومَه على حقيقة آلهتهم بكلّ دلائل العقل والفطرة، كما حكى الله ذلك عنه بقوله : ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾[٢] .

٣ ـ أن يُلفت نظرَ الكافر إلى عجائب صُنع الله ـ تعالى ـ في آياته الكونيّة، وبيان البون الشاسع بين تلك العجائب وحقارة ما يعبدون من دون الله ـ تعالى ـ؛ ومِن تلك الآيات والبراهين: خلْقُ السموات والأرض، والشمس، والقمر؛ وهذا الصنع الباهر بكلّ آياته ودلائله وبراهينِه.

وكذلك يوقفهم على مبدأ خلقهم، وعظيم قدرة الله في ذلك، وأنّ الذي أنشأ ليس بعاجزٍ عن النشأة الأخرى؛ وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾[٣] .

ففي تلك الأدلّة الباهرة كفايةٌ لتوجيه البيان القويّ الذي يخاطبُ فطرَ وعقول هؤلاء الكفّار المعاندين المكذّبين.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧٨ .
(٢) سورة الشعراء، آية: ٧٣ .
(٣) سورة يس، آية: ٧٨ ، ٧٩

وها هو كلامُ ربنا ـ جلّ وعلا ـ في دعوة النصارى للوقوف على حقيقة عبادتهم لغير الله ـ تعالى ـ وبيان أنها خلافُ الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وأنه لا يمكن لمن يُعبدُ من دون الله ويكون مستحقًّا للعبادة أن يكون محتاجًا للأكل والشراب؛ فلقد أوقف اللهُ النصارى على أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ وأمّه بشران ، لهما من خصائص البشر ما ينفي عنها استحقاقهما للعبادة كما زعم الكفّار؛ وفي ذلك يقول ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾(١).

٤ ـ أن يَسلُك مع الكفّار أُسلوبَيْ الترغيب والترهيب؛ الترغيب بالحياة الأخرويّة والنعيم الأبدي، والترهيب بما ينتظره بعد الأجل المحتوم لمن كذّب بآيات الله ورسُله؛ وضرب أمثالٍ في هذا الأمر على ما مضى من الأقوام المكذّبين لرسلهم المخالفين فطرهم، المعارضين لأمر ربّهم؛ وذلك مثل ما فعل نوحٌ لقومه من الترغيب والترهيب حيث قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾(٢).

وخُلاصة الأمر؛ أنّ من أهمّ ما يجب على الداعية مراعاته في دعوته لغير المسلمين:

أن يكون عارفًا للفروق بين المسلمين وغيرهم؛ فلكلٍّ طريقةٌ في دعوته تخالِف الطريقة الأخرى؛ فالفرق بينهما شاسعٌ، والبونُ واسع من حيث المبدأ والمنتهى، ومن حيث الأسلوب والطريقة؛ ويجب في ذلك محاكاة القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب ومناقشة المشركين، والتأسّي بسيرة النبي ﷺ في منهج دعوته لهؤلاء في جميع المناحي، ومِن أهمّها وأعظمها: إيقاف هؤلاء على حقيقة بطلان ما يعبُدون من دون الله بالحجج القطعيّة والبراهين العقليّة والواقعيّة.

---

(١) سورة المائدة، رقم: ٧٥ .
(٢) نوح، آية: ٤

المبحث الثاني

مراعاة الفوارق بين أهل الجهل وأهل الهوى

إن المتتبع لسنّة رسولنا ﷺ والواقف عليها بتدبُّر وتأمُّل، وكذا طريقة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، والتابعين لهم بإحسان يجدُ أنّ لهم منهجًا قويمًا، فيه التفريق بين دعوة أهل الجهل وأهل البدع والهوى.

ففرقٌ واضح بين من كان خطؤُه ناتجًا عن جهل، ومَن كان يسير على طريقة مبتدَعة، نتائجُها الخطأُ والزّللُ؛ فَكان سلفُنا ـ رضي الله عنهم ـ يعلّمون الجاهل، ويقيمون الحجّة على المعاند المكابر صاحب البدعة والطريقة المستحدثة؛ فلننظر إلى هذه النصوص والآثار الآتية لكي نقف على ذلك:

أخرج مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنه قال: بينما نحنُ في المسجد مع رسول الله إذْ جاء أعرابيٌّ فقام يبولُ في المسجد، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُزرموه، دعوه»، حتى بال، ثم إنّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البول ولا القذَر، إنما هي لذكر الله ـ عزّ وجل ـ، والصلاة، وقراءة القرآن»(١).

فلننظر إلى هذا المسلك النبوي الرشيد؛ كيف بدأ بتعليمِه وإرشادِه لجهل المدعو وعدم معرفته بالحكم الشرعي في ذلك.

وكذلك أخرج مسلمٌ ـ رحمه الله ـ من حديث معاوية بن الحكَم السُّلَمي رضي الله عنه قال: بينما أنا أصلِّي مع رسول الله إذْ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارِهم، فقلت: وا ثُكْلَ أُمِّيَاهُ! ما شأنُكم تنظرون إلي؟؛ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما صلّى رسولُ الله ﷺ فَبِأَبِي هو وأمّي ما رأيتُ معلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه؛ فو الله ما كَهَرَني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «إنّ هذه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، /ج٣/٣٤٥ ح٢٨٥.

الصلاةُ لا يصلُح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبيرُ وقراءة القرآن»[١].

فانظر أيها الداعيةُ الموفَّق كيف كانت عادةُ رسول الله ﷺ مع الأقوام الجاهلين الذين يقعون فيما نهى اللهُ عنه، أو يفعلون شيئًا مخالفًا للشريعة جهلًا منهم؛ فإنّ عادتَه ﷺ تعليمُ هؤلاء، وبيانُ الحقِّ لهم بدليله برفق ولين.

فعلى الداعية أن يكونَ شفيقًا رحيمًا، رؤوفًا بالمدعوّين، باغيًا الهداية لهم، وأن يكون معاملًا الناسَ على حسب ما هم عليه من حال، كما هو الحال عند المصطفى المقتدى به ـ صلوات الله وسلامُه عليه فلقد كان رسولُ الله ﷺ من أشفق الناس على الناس، حيث داهمَ أعرابيٌّ رسولَ الله ﷺ وهو نائم، فرفع عليه السيفَ وقال له: من يمنعُك منِّي؟، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله»؛ فسقط السيفُ، فأمسك به رسولُ الله ﷺ، وقال له: «من يمنعُك منّي»[٢]، قال: لا أحد ، فرسول الله ﷺ لم يُعاقبْهُ ولكنه صفحَ عنه، فدخل الإسلام؛ فانظر إلى شفقة رسول الله ﷺ ورحمته بالمدعوّين، ومحبّة الخير لهم؛ حتى أصبح هذا الأمرُ سببًا في هداية من يدعوه، وأصبح أسلوبًا مؤثِّرًا في الناس ومفيدًا في قبول الدعوة؛ فلا يفتح قلوبَ الناس للدعوة وقبولها إلَّا مثلُ هذه الأساليب النبويّة النابعة من حبّ الخير للناس وبُغْية الهداية لهم.

فإذا كان تعليم الجاهل برفق ولين ومخاطبته بالحسنى في جميع الأمور يكون مؤثّرًا في قبوله الدعوة، فإنّه يكون واجبًا على الداعية سلوكُ هذا المسلَك؛ إذْ لا يتمّ واجبُ الدعوة إلَّا به فيصبح حينئذٍ واجباً.

ولكن يجب أن يفهم الداعية أمرًا مُهمًّا، وذلك الأمرُ هو: أن النبي ﷺ لم يكن ليدع الأمرَ على إطلاقِه، بل جعل لكلّ حالةٍ لبوسها ؛ فالرخاء واللين في وقته، والشدَّة والوقوف بقوّةٍ في وقتها؛ على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ وذلك لأنّ الدين مبنيٌّ على أمرين:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، /ج/٥/٢٨ ح/٥٣٧.
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٦٥)، وبنحوه في البخاري، في كتاب المغازي ج٨ ص١٩٠ ح٤١٣٥.

- **إمّا تأصيلٌ وتعليمٌ.**
- **أو بيانٌ وتحذير.**

فمن كان من أهل التأصيل والتعليم عُلِّم.

ومِنْ كان من أهل الهوى المعاندين؛ المخالِفين منهج سلف الأمّة، ومن الداعين بخلاف منهج الحقّ؛ بُيِّنَ حالُه وحُذِّر من مقاله؛ عصمةً للأمّة من زيغه وضلاله لقوله ـ تعالى ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1] [2].

وقد بيّن اللهُ العليم الحكيم ـ جلّ جلالُه ـ هذا الأمرَ العظيم، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[3].

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ:

«وفي هذه الآية موعظةٌ لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة الذين يحرِّفون كلامَ الله ويتلاعبون بكتابه وسنّة رسوله، ويردّون ذلك إلى أهوائهم المضلّة وبدعهم الفاسدة؛ فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغيِّر ما هم فيه فأقلّ أحوالهم أن يترك مجالستهم؛ وذلك يسيرٌ عليه غيرُ عسير»[4].

ويتّضحُ هذا الأصلُ العظيم من سيرته ﷺ ـ، حيث روى البخاريّ حديثًا عن أبي سعيد الخُدريّ: بينما النّبي ﷺ يَقْسِم جاء عبد الله بن الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله !، فقال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟»، فقال عمر: دعني أضرب عنقه، قال: «دعه؛ فإنّ له أصحابًا يحقر أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرميّة»[5].

فهذا الحديثُ فيه بيانٌ قويٌّ لموقف النبي ﷺ الحازم من فرق الخوارج، والتحذير من

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٥ .
(٢) انظر مزيد بيان في «تفسير الكريم الرحمن» للسعدي (ص٢٥٦) عند شرحه لهذه الآية .
(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٨ .
(٤) «فتح القدير» للشوكاني: (ص ١١٢) .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين جـ١٤/٢٩٥ ح٦٩٣٣.

بدعتهم وفتنتهم، وكيف حذّر الأمة من أفكارهم، مبيِّنًا أوصافهم حتى يحذَرهم الناس.

وهذا هو منهج أهلِ السنة أتباع السلف فيما يختصّ بأهل البدع والانحرافات والشبهات، خاصّة الداعين إليها المدافعين عنها الحاملين ألويَتها الناشرين لها في أواسط مجتمعات المسلمين، وعلى ضوء ذلك يجب التحذير من مسالك أهل البدع والشبهات، يؤكِّد ذلك ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ حين بيَّن طريقة أهل "سنّة ـ رحمهم الله ـ بقوله: «واشتدّ نكيرُ السلف والأئمة للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذّروا فتنتهم أشدّ التحذير»[1] ، فالواجب على الداعية: أن يراعي الفروق بين أهل الجهل والخطأ والزلل، وبين أهل البدع؛ ففرقٌ بين هذا وذاك في المعاملة والبيان ـ كما هو واضحٌ فيما تقدّم آنفًا ـ؛ علمًا بأنّ باب التحذير من أهل البدع سيأتي بيانُه بمشيئة الله في بابٍ مستقلّ في الفصول القادمة.

وعليه؛ فإنّ من كان على أصول السنّة ومنهج السلف الصالح - رضي الله عنهم - ثم عُرف عنه خطأٌ وزللٌ في أمرٍ ما فإنّه لا يكونُ الموقف منه كالموقف من أهل البدع، بل إنّ هذا الرجل العالم الذي أخطأ في شيء معيّن وجانب فيه الصواب تكون معاملته مخالفةً تمامًا لمن عُرف بالبدعة ونشرها، أو مَن عُرف بحمل أفكار محدَثة مبتدعة يقوم بتأسيسها، أو بالدعوة إليها والاجتهاد فيها، وجمْعِ الناس حولَها، وسلوك السبل الكثيرة في إضلال الناس بها ، كذلك مَن كان داعيةً إلى بدعته ليس كمن لم يشتغل بالدعوة إليها؛ ففرقٌ بين الداعية إليها والساكت عن الدعوة إليها، فكلٌّ له معاملةٌ، وكلٌّ له موقفٌ يختصّ به باختلاف حال صاحب البدعة ، وسيأتي مزيدُ بيان بمشيئة الله في مبحث وسيلة الحكمة.

فالواجب على الداعية:

أن يُراعيَ ذلك كلّه في دعوته إلى السنّة وحبّ أهلها ونبذ البدعة واجتناب أهلِها .

---

(١) «مدارج السالكين»: (١/٣٢٧) .

المبحث الثالث

مراعاة الفوارق بين دعوة الحكّام والمحكومين

يهدف الداعية السائر على منهج أهل السنّة والجماعة والمتّبع لمنهج السلف الصالح للإصلاح واستقامة الناس على دين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ابتغاء هداية الناس وإبراء الذمّة أمامَه ـ سبحانه وتعالى ـ.

فلما كان هذا الهدفُ هو محطّ الأنظار؛ كان لزامًا على الداعية المسدّد أن يكون على حكمة مِن أمرِه وفعلِه وقولِه، وأن يُنزِّل الناسَ منازلهم، كلاًّ في موضعه ومنزلته التي أنزلهم اللهُ إيّاها، وأن يأتيَ الناسَ بالأسلوب الذي يكون أدعى لقبول النصيحة ونجاح الدعوة.

ولأهل السنّة أتباع السلف الصالح طريقٌ وأسلوب ومنهج قويم راشد في دعوة كلّ من الحُكّام والمحكومين؛ فالأسلوب تجاه هؤلاء يتفاوت بتفاوُت منزلتهم ومكانتهم.

ومن الأمور اللازمة لنجاح الدعوة معرفةُ أحوال الناس وظروفهم وطبائعهم على قدر أحوالهم وطاقاتهم، ولا بد أن يكون أسلوب الداعية طبقًا لحال المخاطب.

وتفصيلُ ذلك يتمثَّل في: أن لأهل السنّة ـ أتباع السلف ـ طريقاً ومنهجاً مسلوكاً؛ عظيماً قدرُه، مأخوذاً من مشكاة النبوّة ومنبع الهدى رسول الله ﷺ.

فأوّل ما يجب على الدعاة قبل كلِّ شيء بالنسبة للسلطان هو: قيامُهم بما أمرهم اللهُ به حقًا لوليّ الأمر عليهم.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«إنّ النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمّة الموحّدين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس»[1].

ولا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطان والعلماء وأعطوهم حقوقهم ؛ فإنْ عظّموا

---

(١) «منهاج السنّة»: (١/١١٥) .

هذين أصلح اللهُ دنياهم وآخرتهم، وإنِ استخفّوا بهذين فسد أمْرُ دينهم ودنياهم.

بل إنّ هذا الأمرَ الذي هو حقٌّ لوليّ الأمر على العامّة والمحكومين إنْ هُتك سترُه ولم يُفهم أمرُه؛ أصبحت الدعوة على خلاف هذا الأمر فتنةً وبلبلةً؛ بل هو عينُ المفسدة، وأحدُ الأسباب التي تحصل بها الفتنة بين الناس.

وأعظم الناس معرفةً بهذا الأصل هم أهلُ السنة أتباع السلف؛ فلقد قرّروا في كتبهم أنّه يُنصَحُ وليُّ الأمر سرًّا فيما صدر عنه من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر وفي مجامع الناس، لما ينجم عن ذلك من إثارة الفتنة وإشعال نيرانها وتهييج الناس.

وثمّةَ نصوصٌ تُفصح عن هذا النهج الصحيح لكيفية التعامل مع ولاة الأمر، وتوجيههم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وهي تحثُّ على السمع والطاعة بالمعروف ، ومنها:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(١)

٢ـ ومنها حديث ابن عبّاس ـ رضى الله عنهما ـ: أنّ النبى ﷺ قال: «من رأى من أميرِه شيئًا يكرهُه فليصبر؛ فإنّ مَن فارقَ الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهليّة»(٢).

٣ـ ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنها ستكون أثَرةٌ وأمورٌ تنكرونَها»، قالوا: يا رسول الله فما تأمرُنا؟، قال: «تؤدّون الذي عليكم، وتسألون اللهَ الذي لكم»(٣).

٤ـ ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عُسرك، ويُسرك، ومنشطك، ومكرهك، وأثرةٍ عليك»(٤).

٥ـ ومنها حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال له: «تسمعُ وتطيع للأمير وإن ضَرب ظهرك وأخذ مالك؛ فاسمع وأطع»(٥).

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، ج١٢/ ٣٣٢ ح١٨٤٩.
(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، ج١٢/٣٢١ ح١٨٤٣.
(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة، ج١٢/٣١١ ح١٨٣٦.
(٥) رواه مسلم في كتاب الإمارة، ج١٢ /٣٢٩ ح١٨٤٧.

فهذه النصوص كلها تدلّ دلالةً واضحة جليّة على منهج أهل السنة أتباع السلف تجاه وُلاة أمرهم فيما يصدُر منهم مما يستوجب نُصحهم فليس لهم إلا الصبر والنصيحة التي تكون على وفق ما قاله رسولُنا ﷺ حيث قال: «مَن أراد أن ينصح لسلطانٍ بأمرٍ فلا يُبْدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإنْ قبِل منه فذاك، وإلاّ كان قد أدّى الذي عليه له»(١).

فهذه الطريقة السليمة والمنهجيّة السديدة تجاه وليّ أمر المسلمين فهي الرفق واللين، وإنزال وليّ أمر المسلمين منزلته اللائقة به عند النصيحة والبيان له.

وفي هذا يقول الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ:

«ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يُظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد) (٢).

فأُسلوب الدعوة لإمام المسلمين يكون بالسمع والطاعة له، وإنزاله منزلته، ونصيحته سرًّا بلين ورفق على ما يليق بمنزلته؛ لأنّ ذلك أدعى لقبول النصيحة وأحرى به في جمع قلوب الناس عليه، وعدم تنفيرهم منه، وعدم الخروج عليه قولًا أو فعلاً.

وفي هذا يقول أئمة الدعوة ـ رحمهم الله ـ عندما ظهر مَن ظهر من الناس من ينصح بأسلوب فيه الفتنة والإثارة، فقال هؤلاء ـ رحمهم الله ـ:

«وأما ما قد يقعُ من وُلاة الأمر من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها: مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس»(٣).

وهذا الأمرُ أصلٌ عظيم قرّره علماء الإسلام في كتبهم ـ أعني: كتب الاعتقاد(٤) ـ،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤٠٣/٣، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في تعليقه عليها ٥٢١/٢ .

(٢) السيل الجرار ٤/ ٥٥٦

(٣) «نصيحة مهمّة في ثلاث قضايا» لأئمة الدعوة النجدية (٤٧ ـ ٥٣) .

(٤) انظر مزيد بيانٍ في كتاب «السنة» للخلاّل (ص٩٦ ـ ١٤٠)، وكتاب «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٥٤٠) .

وشرحوه، وبيّنوه، خلافًا لمن أخطأ في هذا الطريق، فأصبح طريقُه وبالًا على الإسلام وأهلِه، وضررًا على الدعوة وأهلِها.

وهذه الأحاديث التي سبق ذكرها في بيان النهج الأمثل لمناصحة ولاة الأمر قد عمِل بها أصحابُ رسول الله ﷺ، وعرفوا أنّها من الأصول التي لا يقوم الإسلام إلَّا بها، ورأوا أنّ الخارج عليها خارجٌ عن دعوة المسلمين إلى طريقة الخوارج؛ وإليك هذا الموقفَ العظيمَ من الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما فقد جاء إلى عبد الله بن مُطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية - رحمه الله - فقال ابن مطيع اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً فقال إنّي لم آتك لأجلس أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهلية) (١)

والحقُّ أنّ ما أصاب الأمّة مِن فتن وقلاقل كان من إضاعة هذا الأصل العظيم الذي قال فيه ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ:

«ومن تأمّل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل»(٢).

بل لا يُعرف طائفةٌ خرجت عن هذا الطريق السويّ وسلكت مسالك الهوى والغيّ إلَّا وكان من جرّاء طريقها ما هو أكثر فساداً من الفساد الذي أرادوا إزالته؛ فليس من طريقة السلف ـ رضي الله عنهم ـ أنهم يسلُكون مسالك الدعوات السريّة والتنظيمات الحزبيّة، ويُصبحون أداةَ فساد باسم الدعوة وأهلها، بل كانوا أطهر وأنقى مِن أن يسلُكوا هذه المسالك التي سلكها أصحاب بعض الدعوات التي تسعى إلى التنظيمات الحزبيّة في عصرنا، بل كانت قلوبُهم طاهرةً نقيّةً تُجاه ولاتهم ومجتمعهم؛ يسيرون بذلك على أسس السلف العظيمة، وطرائقهم الكريمة، يستنّون بالسنّة النبويّة والآثار السلفيّة بُغيَة الإصلاح والاستقامة.

---

(١) رواه مسلمٌ في كتاب الاماره ج١٢/٣٣٣ح ١٨٥١

(٢) «إعلام الموقّعين»: ج٣/ ص٤ .

المبحث الرابع

مراعاة الفوارق بالنسبة للحالات النفسيّة والقدرات البشرية، والمكانة والشرف والسن

للناس أحاسيس ومشاعر لا بدّ أن تُراعى عند التعامُل معهم؛ إذْ بمراعاتها يحصلُ النجاح للدعوة، ويكون المدعوّ أكثر قبولًا لِمَا يُدعى إليه؛ وقد كان رسولُ الهدى ﷺ يراعي هذا الجانب مراعاة واضحة في منهجه وتعامُله مع الناس ـ صلوات الله وسلامُه عليه ..

وممّا يدلّ على هذا:

ما أخرجه الشيخان من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة؛ فكان رسولُ الله؟ ﷺ رحيما رقيقًا؛ فلما ظنّ أنا قد اشتهينا أهلنا سألنا عمّن تركنا بعدَنا فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم»(١).

فانظر إلى مراعاة النبي ﷺ لحال الشباب وفطنته ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ لاشتياقهم إلى أهلهم، كما هي عادة النفس البشريّة؛ فأمرهم بالرجوع لأهليهم والإقامة عندهم؛ وفي ذلك دليلٌ على أنّه ينبغي للداعية عندما يدعو إلى الله أن يتحينّ الفرصة التي بها يكون المدعو أكثر قبولًا واستعدادً نفسياً لما يُدعى إليه.

ويقول ﷺ: «إذا وُضع العشاء وأُقيمت الصلاة فابدءوا بالعَشَاء»(٢).

ففي هذه الأحاديث البيانُ الواضح لمنهج الشريعة السمحة في التعامُل مع الناس، ألا وهو مراعاة أحوال الناس وظروفهم، وأن تكون الدعوة بعيدة عن الأحوال والظروف النفسيّة التي تكون صادّة للمدعو عن قبول الدعوة؛ وكلما كان فهم الداعية لهذا الأمر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، ج ٣٩٦/٢ ح٦٨٥.

(٢) رواه مسلمٌ في كتاب المساجد، ج٦٢/٥ ح٥٥٧.

محقَّقًا كان في دعوته نافعاً بإذن الله.

ومن ذلك: ما ورد عن نبيّنا ﷺ من إذنه للناس بالصلاة في الرحال والمساكن عند حصول المطر والبرد الشديد (١).

ففي ذلك أبلغُ دليل على مراعاة النبيّ ﷺ لأحوال الناس ومشاعرهم وظروفهم واختلاف أحوالهم.

ومن ذلك: ما فعله النبيُّ ﷺ مع عثمان رضي الله عنه؛ فقد كان عثمان حَيِيًّا يمنعُه حياؤُه من بيان حاجته للنبي ﷺ؛ فقد دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه وهو مضطجعٌ على فراشه لابساً مرط عائشة، فأذِن لأبي بكر، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، واستأذن عمر، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، فاستأذن عثمان فجلس ﷺ؛ فلمّا ذهب سألت عائشة النبيَّ ﷺ عن جلوسه أثناء دخول عثمان عليه، فقال ﷺ: «إنّ عثمان رجل حَيِيٌّ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يبلغ إِلَيَّ في حاجته» (٢).

فانظر كيف غيَّر النبي ﷺ جلسته التي كان عليها خوفًا من أن تكون تلك الحالة مانعةً لعثمان من الإفصاح عن ما يُريدُه من النبيّ ﷺ.

فالواجب على الداعية:

مراعاة أحاسيس الناس ومشاعرهم، ومعرفة قدرات المدعوّين في أفهامهم ومدى استيعابهم.

فالله ـ جلّ وعلا ـ جعل للنفوس طاقةً وحدودًا لا تتعدّاها؛ وهذا ما جاء مصرّحًا به في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣)، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (٤)، وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (٥)، وقد قال

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، ج٥/٢٨٧ ح٦٩٧.
(٢) رواه مسلمٌ في باب الفضائل، ج٥/٢٤١ ح٢٤٠٢.
(٣) البقرة، آية: ٢٨٦ .
(٤) البقرة، آية: ٢٨٦ .
(٥) التغابُن، آية: ١٦ .

علي رضي الله عنه: (حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذّب الله ورسوله) (١)

وبما أنّ كلّ نفسٍ لها حدودُها وقدراتُها؛ فلا ينبغي للداعية أن يطلب أعمالًا وأفعالًا من الرجل الكبير المُسنِّ بما يُطلب مثله من الشاب الفَتيّ القويّ، ولا أن تُطالب المرأةُ بما يُطالب به الرجل؛ فكلٌّ له قوّته وقدرتُه وما اختُصَّ به، ولا أن يُطالب المريضُ بما يطالبُ به الرجلُ الصحيح؛ وهلّم جرّا من تلك الفوارق والأحوال المتباينة التي يختلف الحكم والنظر باختلافها.

ولا أدلّ على ذلك من مراعاته ﷺ للناس في صلاة الجماعة؛ فقد ورد عنه ﷺ أنّه غضب غضبًا لم يُرَ أشدّ من غضبه هذا، فقال: «يا أيها الناس إنّ منكم منفِّرين؛ فمن أَمَّ الناسَ فليتجوّز فإنّ خلفَه الضعيف، والكبير، وذو الحاجة»(٢).

فها هو رسولُ الهدى يأمرُ الإمامَ أن يخفّف صلاتَه مراعاةً لحال مَن خلفَه من الصغار وكبار السنّ وأصحاب الحاجات؛ لِمَا في ذلك من دافع قويّ لقبول الناس للإسلام ولتلك العبادة.

وفي مجال مراعاة فوارق السنِّ بين المدعوين فإنّ المنهج السليم يتطلّب مراعاة هذه الجوانب، لما لها من أثرٍ في قبول الدعوة، واستجابة الناس لها، ويدلُّ على ذلك ما جاء عن المصطفى - ﷺ - في حديث ابن عمر رضي الله عنه حين قال: (أرَاني أتسوَّك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولْت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبِّر . فدفعته إلى الأكبر منهما)(٣).

وفي حديث مالك بن الحويرث - رضي الله عنهما -: أنّه لمّا أتى النبيَّ - ﷺ - رجلان يريدان السفر، قال النبيُّ ﷺ: «إذا أنتما خرجتما فأذِّنا ثمَّ أقيما، ثمَّ ليؤمَّكما أكبرُكما»(٤).

وأمّا في مجال اعتبار المكانة والشرف في الفوارق الدعوية؛ فإنّ النبيَّ ﷺ يوم فتح

---

(١) رواه البخاري كتاب العلم ١/٣٠٤.
(٢) رواه مسلمٌ، ج٤/٢٤٤ ح٤٦٦.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، /ج١/٤٧٤ ح٢٤٦.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ج/٢/٣٢٠/ح٦٣٠.

مكّة قال له أبو سفيان: يارسول الله، أُبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم . فقال النبيُّ ﷺ : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (١).

قال النووي ـ رحمه الله ـ معلّقاً على هذا الحديث:

«وفيه تأليفٌ لأبى سفيان، وإظهارٌ لشرفه» (٢).

ومن ذلك: اعتباره ﷺ مكانة عثمان رضي الله عنه عند ملائكة الرحمن حين قال ﷺ في حقِّه: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟» (٣).

ومن ذلك: اعتباره ـ ﷺ ـ مكانة حافِظ القرآنِ على غيره، وذلك في قوله ـ ﷺ ـ: «وليؤمُّكم أكثَرُكم قرآناً» (٤).

ففي هذه الأحاديث مايدلُّ على أنّ اعتبارَ هذه الفوارق يُعدُّ أسلوباً نبوياً نافعاً في الدعوة إلى الله، ففي إنزال الناس منازلهم التي أنزلهم الله إيَّاها كسبٌ لقلوبهم، ومراعاةٌ لحقوقهم، وتأليف لهم في قبول الحقِّ المدعو إليه، فكلٌ يُعطى الأسلوبَ اللائق به وبمكانته؛ ليكون ذلك أدعى في القبول والاستجابة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ج١٢/١٧٧/ح١٧٨٠

(٢) شرح صحيح مسلم١٢/١٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ج/١٦/٢٤٠/ح٢٤٠١.

(٤) أخرجه البخاري ج/٨/٣٣٧ح٤٣٠٢.

الفصل الثالث

الضوابط المتعلقة بالمدعو إليه

- ويتكوّن من ثلاثة مباحث:

❑ المبحث الأول: الدعوة إلى الأهم فالأهم، وأهمها التوحيد.

❑ المبحث الثاني: الدعوة إلى السنة، والتحذير من البدعة.

❑ المبحث الثالث: شمولية فهم السلف ودعوتهم لإصلاح ما ينشأ في المجتمع من مخالفات.

المبحث الأول

الدعوة إلى الأهم فالأهم، وأهمُّها التوحيد

من معالم المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله ـ جلّ وعلا ـ: أن يدعو الداعية إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة، وفعل الواجبات، وترك المحرّمات؛ الأهم فالأهم.

والدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ هي منطلق دعوة الرسل، وأساسها، وأصلها الأصيل الذي به البداية وإليه المنتهى.

يقول الله تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١)، فبيّن الله ـ تعالى ـ في هذه الآية العظيمة وظيفة الرسل وأصل دعوتهم وزبدة رسالتهم وهي الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له واجتناب ما يُعبد من دونه، والتحذير من ذلك.

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(٢).

فالتوحيد أصلٌ أصيل قامت دعوة الرسل جميعًا لتحقيقه.

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلقَ، وأوجدهم، وسخّر المسخّرات، كلُّ ذلك لأجل عبادته وتوحيده؛ وفي هذا يقول ـ سبحانه ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٣)؛ فما خلق الله ـ تعالى ـ السموات والأرض إلاَّ بالحق المبين ألا وهو حقّ التوحيد والانقياد لمنهجه وصرف العبادة له؛ يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٤).

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.
(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦ .
(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩.

وما كرّم الله بني آدم وحمَلهم في البرّ والبحر ورزقهم من الطيِّبات إلا لهذه الغاية العظيمة والخَصلة الكريمة، ألا وهي اتخاذُه وليًّا معبودًا، وصرف العبادة له وحدَه دون أيِّ ندٍّ أو شريك.

فالتوحيد أساسُ هذه الفطرة وعنوانُ صلاحها، وهو الملّة التي فطر الله الناسَ عليها، وأَمر هذا الإنسان أن يقوم عليها بلا تبديل ولا تغيير، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾[1].

وفي تأكيد هذه الفطرة العظيمة يقول الرسول ﷺ: «ما من مولود إلَّا ويولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يُمجّسانه...»[2].

وفي الحديث القدسي: «وإني خلقت عبادي حنفاء كُلّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينِهم»[3].

ويقول ـ تعالى ـ عن أولي العزم من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾[4].

فتلك هي دعوة الأنبياء جميعًا، وعلى رأسهم أولوا العزم، يسيرون في دعوتهم على منهج واحدٍ، وينطلقون من مُنطلق واحد، هو التوحيد؛ أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى بني آدم جميعًا في جميع أجيالهم ومُختلف بيئاتهم وبلدانهم وزمانهم؛ ممّا يدلُّ على أنّه هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يُسلك في دعوة الناس إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ، وسنةٌ من سُننه التي رسمها لأنبيائه وأتباعهم الصادقين، لا يجوزُ تبديلُها ولا العدول عنها[5].

---

(١) سورة الروم، آية: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، جـ ٩/٤٩٥ ح/ ٤٧٧٥.
(٣) رواه مسلم في كتاب الجنّة وصفة نعيمها، /ج١٧/٢٨٧ح/٢٨٦٥
(٤) سورة الشورى، آية ١٣.
(٥) «منهج الأنبياء» للشيخ ربيع: (٤٣) بتصرُّف.

فالواجب على دعاة الإسلام: أن يكونوا على بيِّنةٍ برأس الإسلام وأساسه الذي هو التوحيد دعوةً وتعليمًا؛ إذ لا قبول لعمل إلَّا بهذا الأساس والأصل؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ: «ولهذا كان رأس الإسلام: (شهادة أن لا إله إلَّا الله)، وهي متضمّنةٌ عبادة الله وحدَه وترك عبادة ما سواه؛ وهو الإسلام العام الذي لا يقبلُ الله من الأوّلين والآخرين دينًا سواه»(١).

ومما يدلّ على أهميّة الدعوة إلى هذا الأصل وانطلاق الدعوة منه وإليه: ما رواه ابن عبَّاس - رضي الله عنهما ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا بعث مُعاذًا إلى اليمن قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أوّلَ ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلَّا الله» وفي رواية: «إلى أن يوحدّوا الله»، «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات...»(٢) الحديث.

وأكّد شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ أهميَّة الدعوة إلى هذا الأصل فيما ظهر له من هذا الحديث، حين أشار إلى أن الله بعث جميع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ للدعوة إلى هذا الأصل، مُستشهداً على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾(٣)، وقوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾(٤)؛ وجميع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ افتتحوا دعوتَهم بهذا الأصل، كما قال نوحٌ ـ عليه السلام ـ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾(٥)، وكذلك هود، وصالح، وشُعيب»(٦).

وقد ذكر ربُّنا ـ جلَّ وعلا ـ دعوة نوح ـ عليه السلام ـ، وجاء بخُلاصةٍ لدعوته الكريمة استغرقت ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، إنها دعوةٌ جادّة إلى توحيد الله وعبادته

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٠/١٥).
(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، جـ ٣/٤ ح/ ١٣٩٥.
(٣) سورة الأنبياء آية: ٢٥.
(٤) الزخرف، آية: ٤٥.
(٥) الأعراف، آية: ٥٩.
(٦) «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٥١).

وحدَه في جهد دائب؛ ما ترك وسيلة تمكِّنُه إلا استخدمها لإقناعهم بدعوته سرًّا وجهرًا، وترغيبًا وترهيبًا، ووعدًا ووعيدًا، واحتجاجًا واستدلالًا بالأدلة العقلية والحسيّة..؛ وسببُ ذلك كلّه: أن دعوة التوحيد والقضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه يستحقّ كلّ هذا؛ وهو عينُ الحكمة، ومقتضى الفطرة والعقل.

فالواجب على كلِّ الدعاة إلى الله أن يفهموا هذا المنهج، وهذه الدعوة الإلهيّة العظيمة والمطلب الكبير، «ويجب أن نعتقد أنّه لو كان هناك منهج أفضلَ وأقومَ من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به؛ فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجًا سواه، ويتطاول على هذا المنهج الربّاني وعلى دُعاته»[1].

بل إنه ينبغي أن يُعلم أنّ التوحيد وتجريدَه من كلّ الشوائب هو أولى الأحكام تطبيقًا وتشريعًا، ولا قَبول للأعمال إلَّا به، فكيف يجوز لمن عرف التوحيد وأهمّيته أن يجعله أمرًا ثانويًّا في دعوته إلى الله ؟، بل يجب أن يُجعل التوحيد مدار أُلفةِ المسلمين وأساس وحدةِ صفِّهم، ولا ينبغي أن يشتغل الداعية بشيءٍ آخر كالدعوة إلى كثير من المهاترات السياسيّة القائمة على الدعوة لتجميع المسلمين وجمهرتهم حول فكرة سياسيّة بدعيّة يزعمونها دينيّةً شرعيةً، وعدمِ إعارة التوحيد اهتمامًا في الدعوة والنصح والإرشاد.

ولا أدلّ على ذلك من أنّك تجد في صفوف تلك الدعوات المنتشرة اليوم كثيرًا من أهل الانحراف البدعي، لا سيّما في العقيدة؛ فتجد الصوفي، وكذا الجهمي، والأشعري؛ والسببُ في ذلك: أنّ هذه الدعوات لم تُعِر أمرَ التوحيد اهتمامًا، ومن الخلل في بعض الدعوات ما يظهر من التوجُّه بالدعوة إلى الله إلى بعض الأمور التي تُثير البلبلة، أو تعمل في النيل من أولياء أمور المُسلمين، والتهييج عليهم؛ وذلك بإثارة الشبهات التي قد تجد القبول عند العوام والجهّال، يؤكِّد ذلك الشيخ العلاّمة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ بقوله:

«وإنّ أيّة دعوة لا تقوم على هذه الأسس، ولايكون منهجُها قائمًا على منهج الرسل فإنّها ستبوء بالخيبة وتضمحلّ، وتكون تعبًا بلا فائدة؛ وخيرُ دليل على ذلك: تلك

---

(١) «منهج الأنبياء» للشيخ ربيع: (٥٤).

الجماعات المعاصرة التي اختطّت لنفسها منهجًا للدعوة يختلف عن منهج الرسل؛ فقد أغفلت هذه الجماعات ـ إلَّا ما قلّ منها ـ جانب العقيدة، وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبيّة؛ فجماعةٌ تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة، وتطالب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس؛ وهذا جانب مهمّ، ولكنه ليس الأهمّ، إذْ كيف يُطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله على المشرك ؟، كيف يطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على عُبّاد الأوثان والقبور وعلى الذين يُلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطّلونها عن مدلولاتها ويحرّفون كلماتها؟»[1].

ومن الخلل الذي يتنافى مع الدعوة إلى التوحيد الحق: ما نجده عند بعض الدعوات من الاتجاه إلى جعل الحاكمية السياسيّة أهمَّ شيء في دعوتها وبيانها، وتجدهم يحملون كلمة (لا إله إلَّا الله) على توحيد خاصّ عندهم، ألا وهو أمر الحاكميّة ومنازعة أهل الحكم حكمَهم، وإثارة الفتن والقلاقل على المسلمين؛ بل وتجد كثيرًا من هؤلاء لا يدرون عن عقيدة المسلمين السلفيّة الحقّة شيئًا، ومثل هذا النهج يتنافى مع دعوة الأنبياء الأصفياء، ولا علاقة بين تلك الدعوات ودعوة الأنبياء، بل بينهما البَونُ الشاسع والفرقُ الواسع في البدء والمنتهى.

● **وإليك أيها الداعية نموذجًا عظيمًا في الدعوة النبويّة إلى التوحيد من سيرة النبي يوسف ـ عليه السلام ـ، وكيف كانت الدعوة إلى التوحيد منطلقًا لدعوته:**

فلقد عاش هذا النبيُّ الكريم في قصور ملِك مصر ، ورأى من الفساد ما رأى، وذاق من ويلاتهم الشيءَ العظيم؛ وعاش ـ كذلك ـ في أقوام تنتشر فيهم الوثنية بعبادة الأصنام والكواكب وغير ذلك من صور الوثنية؛ فهل جعل همَّهُ الدعوة السياسيّة والإثارة الشعبيّة ومنازعة الحكّام أمرَهم، أم انطلق من حيث انطلق آباؤُه الكرام، وعلى رأسهم: إبراهيم الخليل إمامُ الدعاة إلى التوحيد؛ فقد اقتفى يوسفُ ـ عليه السلام ـ طريق الرسل قبلَه في الدعوة إلى إخلاص العبادة له ـ سبحانه وتعالى ـ وتجريد التوحيد وتنقيته؛ فها هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقولُها ويعلنُها بقوله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ

(١) مقدمة «منهج الأنبياء» (٩).

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾[1].

وكذلك موسى ـ عليه السلام ـ، كانت دعوته مُنطلقةً من أساس التوحيد الخالص، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[2].

فهذا عامّ في جميع دعوات الأنبياء والمرسلين، لم يَكن مُنطلق دعوتهم إلَّا التوحيد الخالص والتحذير من كلّ الشوائب المخالفة للتوحيد؛ فحريٌّ بمن يريد نجاحَ دعوته وقبولها عند الله - جلّ وعلا - وجنيَ ثمارها اليانعة أن يحرص على هذا المعلم الأصيل في الدعوة، وأن لا يشتغل بغيره عنه مما انتشر اليوم باسم الدعوة من طُرقٍ فاسدةٍ وشوائب بدعية تلبس لبوسَ الإسلام وهي لا تستند إلى ركنه الشديد وهو التوحيد.

---

(١) يوسف، آية: ٣٨.

(٢) طه، آية:١٣، ١٤.

المبحث الثاني

الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة

من أصول أهل السنة والجماعة أتباع السلف: الدعوة إلى السنّة النبويَّة،أساس الوحدة والاعتصام وسبب الألفة والوئام التي بها العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة؛ فكما يجب الالتزام بها فإنه يجب الدعوة إليها، والتحذير ممّا يخالفها من الآراء والشبه والتنظيمات؛ فهي أساس الاجتماع ومصدر العزّة والقوة والوحدة والخيريّة في الدنيا والآخرة؛ فالرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابُه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، حيث زكّاهمُ الله ورسولُه ومات عنهم رسولُه ﷺ وهو راضٍ عنهم؛ فالحقّ والهدى والرشاد دائرٌ معهم حيث داروا؛ لأنّهم لا يُجمعون على الباطل، بعكس غيرهم من الفرق والطوائف والشعارات فإنهم قد يُجمعون على باطل وضلال؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«فلا يُنتصر لشخص انتصارًا مُطلقًا عامًّا إلَّا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصارًا مطلَقًا عامًّا إلَّا للصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ؛ فإنّ الهدى يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا»(١).

ولقد توافرت النصوص الشرعية في الحثّ على هذا الأصل العظيم، أصل الوحدة والاتّفاق على السنّة والمحجّة؛ فلا حُجة إلَّا لمن احتجّ بها، ولا عصمة من الزلل إلا لمن اعتصم بها علمًا وعملاً، دليلًا واستدلالاً، فقهًا واتباعًا؛ يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾(٢).

فالأسوة هي القدوة، فلا اقتداء إلَّا به، ولا اتباع إلَّا له، ولا نجاة إلَّا بالسير على طريقته.

---

(١) «منهاج السنّة»: (٥/٢٦١).
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1].

فلا صحّة لدعوى المحبّة إلَّا أن يكون بُرهانها يتقدّمها ويصحّح مسارها ألا وهو الإتباع ولزومُ السنّة.

يقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ:

«لما كَثُر المدّعون للمحبّة طولبوا بإقامة البيِّنة على صحّة الدعوى؛ فلو يُعطى الناسُ بدعواهم لادّعى الخليُّ حُرقة الشّجيّ، فتنوّع المدّعون في الشهود فقيل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببينّة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى...﴾ الآية؛ فتأخّر الخلْق كلُّهم، وثبت أتباعُ الحبيب في أقواله وأفعاله وأخلاقه»[2].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[3]، فالهداية معلّقة باتِّباعه، والغواية معلّقةٌ بالزيغ عن سُنّته.

ويدلّ على هذا الأمر العظيم: ما رواه مسلمٌ في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه حتى كأنه منذر جيش؛ يقول: صبّحكم ومسّاكم، ويقول: «أما بعد: فإنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخير الهُدى هدى محمد، وشر الأمور محدَثاتُها، وكلّ بدعة ضلالة» [4].

ويقول ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاء المهديّين الراشدين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدَثات الأمور فإنّ كلّ محدَثة بدعة وإن كلّ بدعة ضلالة»[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٣١.
(٢) «مدارج السالكين»: (٣/٨).
(٣) سورة النور، آية ٥٤.
(٤) رواه مسلم في كتاب الجمعة، جـ ٦/٢١٩ ح/٧٦٧.
(٥) رواه أبو داود في كتاب السنّة، جـ ٥/١٢ح/٤٦٠٧، والترمذي في كتاب العلم، جـ ١٠/ ١٠٤ ح/ ٢٦٧٦.

ويقول ﷺ: «ذروني ما تركتُكم، فإنما هلَك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم؛ فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدعُوه»(١).

ومن خلال هذه الأحاديث الجليلة نتبينَّ عظيم أمر السُنّة ووجوبَ اتباعها، ونجاةَ من سلك سبيلَها، واجتنب مخالفتها، وقد وعَى هذا المعنى الصحابة والتابعون، وكانوا يصدعون دائماً بالحديث عن الالتزام بهدي الرسول ﷺ، والتحذير من البدع ومجاراة أهل الأهواء والآراء، فهاهو عمر رضي الله عنه يقول: (إيّاكم وأصحابَ الرأي؛ فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلُّوا وأضلُّوا)(٢).

ويقول الصحابيُّ الجليل ابن مسعود رضي الله عنه : (اتّبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم، وكلّ بدعة ضلالة)(٣).

ويقول عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: (السنّة إنما سنّها من عَلِم ما جاء في خلافها من الزلل؛ ولَهُمْ كانوا على المنازعة والجدل أقدرَ منكم)(٤).

وقال مالك بن أنس: (إيّاكم والبدع)، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع ؟، قال: (أهل البدع، الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)(٥).

والذي يخرج عن هذا المنهج في دعوته لا شكَّ أنّه يُشكِّل خطراً على نفسه ومجتمعه، ولا بد من التحذير من مسلكه، وقد تولّى ذلك أنصار السنّة وأئمّة الهدى؛ كما أشار الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في قوله:

«ولم يزل أنصارُ الإسلام وأئمة الهدى تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذّر من سلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم من جميع طوائف الملّة»(٦).

---

(١) أخرجه مسلمٌ في كتاب الحج، جـ ٩/١٤٣ح/ ١٣٣٧

(٢) «سنن الدارقطني»: الوصايا (٤/١٤٦)، اللالكائي (١/١٢٣).

(٣) «الإبانة»: (١/٣٢٧).

(٤) «الإبانة»: (١٢٣).

(٥) «شرح السنّة»: (١/٢١٧).

(٦) «إغاثة اللهفان»: (١/١٧٥).

وهكذا يتضح لنا منهج سلف الأمّة في العلم والعمل والدعوة، ألا وهو لزوم السُنّة واتباع طريقها والدعوة إليها والتحذير ممن يُخالفُها.

ومتى خرجت الأمة عن هذا الباب، وأهمله دعاتُها ضعف أمرُهم، وتزعزع كيانُهم، وتفرّقت كلمتُهم، وارتكسوا في البدع والمحدَثات والمهلكات التي تُنغِّصُ عليهم عيشهم في الحياة الدنيا وتبعدهم عن الله في الدنيا والآخرة، ويؤكِّد ذلك ما جاء على لسان عُمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حين قال:

(سَنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سُننًا، الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله واستكمالٌ لطاعة الله، وقوّة على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها؛ ومن اهتدى بها فهو المهتدي، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا)[1].

وبعد معرفة هذه الحقائق العظيمة الجليلة فإنه لا يسوغ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن تكون كثرةُ الجمهرة معيارًا للحق عنده، ولا ينبغي لعاقل أن يغترَّ بما يفعله ويعمله دهماء الناس وعوامّ الأمّة في سائر أقطار المسلمين؛ فإنّ الحق لا يُعرف بكثرة الفاعلين والعاملين والتابعين له، بل يُعرف بالأدلّة الشرعية من الآيات القرآنية والسنّة النبويّة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]، وذلك لأنّه ما من مسألة إلاَّ وللإسلام حكم فيها وحلٌّ شرعي يجب المصيرُ إليه؛ وأحاديث النهي عن التفرُّق التي وضّحها رسولُ الله ﷺ التي تنصّ على أنّ الفرق التي بلغت ثلاثاً وسبعين فرقة كلّها في النار إلَّا واحدة؛ لهي خيرُ دليلٍ وأوضحه، ضدَّ من يعتنون بتجميع الأمّة على غير أساس العقيدة والسُنّة، إنّما همّهم الكثرة والجمهرة التي لا تقوم على أساس واحد وسبيل واحد؛ وتلك طريقةٌ وإن ظهرت بمظهر الوحدةِ والتجمّعِ إلَّا أنها تُعتبرُ من طرق التفرُّقِ والشتات؛ لأنّ تلك الطرائق والشعارات والآراء إن لم تقم على أساس العقيدة والسنّة فمصيرُها التفرق والشتات والإفتراق ؛ فالطريقة واحدة والسنّة واحدة، اتباعها هدى، وخلافُها ضلال.

---

(١) «الشريعة» للآجُرّي: (١/٤٨).

(٢) الأنعام، آية: ١١٦.

ولهذا يقول شارح «الطحاوية» ـ رحمه الله ـ:

«والسُنّة: طريقة الرسول، والجماعة: جماعةُ المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فاتّباعهم هدى وخلافُهم ضلال»(١).

فالسلامة والنجاة معلّقةٌ باتِّباع الحديث والسنّة؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«وبهذا يتبيّن أن أحقّ الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية هم أهل الحديث والسنّة»(٢).

فصحّة المنهاج والمسار مرتبطٌ باتباع السنة والأثر، وما شذّ عن هذا فمن أهل الفرقة والشتات؛ فإذا سارت الأمّة على مسار السنّة، وتركت مسارات أهل البدع؛ أمنت الفشل والتنازع، وفي هذا يقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ:

«أما كثرة الجماعات وكثرة المناهج فهذا ممّا يُسبِّب الفشل والنزاع، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾(٣)، نريد جماعة واحدة، تكون على المنهج الصحيح والدعوة الصحيحة حتى لو تفرّقت في البلدان فإن مرجعها واحد يُراجع بعضها بعضًا فيستمدّ بعضها من بعض»(٤).

وممّا يتبع هذا المسألة العظيمة هو: أنه ليس كلُّ من ادعى اتباع السنة سلمت له دعواه، بل لا بدّ من اتباعها دليلًا واستدلالاً؛ فبعضهم قد يستدلّ بالسنة تحريفًا وتأويلًا بعيدًا عن فهم السلف في استدلاله ومنهجه؛ وبعضهم قدّس عقلَه وجعله حاكمًا على السنّة معارضًا لها.

يقول شارح «الطحاوية» ـ رحمه الله ـ:

«بل كلّ فريقٍ من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنّه معقولاً، فما وافقه قال إنه محكَم وقَبِلَه واحتجّ به، وما خالفَه قال إنه متشابه ثم ردّه وسمّى ردّه

---

(١) «الطحاوية»: (٥٤٤).
(٢) «الفتاوى»: (٣/٣٤٦).
(٣) سورة الأنفال، آية ٤٦.
(٤) «الأجوبة المفيدة»: (٢١).

تفويضًا، أو حرّفه وسمّى تحريفَه تأويلاً؛ ففهموا من أخبار الصفات ما لم يُرده الله ولا رسولُه، ولا فهمه أحدٌ من أئمة الإسلام»(١).

ومنهم مَنْ جعل علامة الحقّ عنده الهوى والتعصّب للرجال والآراء والمعاندة والمحاجَّة؛ وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ:

«ومن المعلوم: أنه لا يقبل الحقّ إلا من طلبه، وأمّا أهلُ البدع فأشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع والضلالة، وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق»(٢).

فأهل الباطل وإن استدلّوا بالكتاب والسنّة إلَّا أن عمدتهم في الباطن فَهْمُ شيوخهم ومتبوعيهم تعصّبًا وعدوانًا؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«فلمّا حدث في الأمة ما حدث من التفرّق والاختلاف صار أهل التفرُّق شيعًا، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهُم»(٣).

ومنهم من ساء فهمُه وجَهلِ الحقَّ فتخبّط في فهمه ومنهجه، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عن الخوارج:

«وكانت البدع الأولى مثل الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن»(٤).

وخلاصةُ الأمر في هذا الباب: أن أهل البدع والأهواء لم يَسيروا في نظرهم واستدلالهم سيرَ أئمة أهل السنّة أتباع السلف ولم ينظروا نظرَ السلف الصالح في العلم والاستدلال، فحارت عليهم طريقتُهم بالضلال والانحراف.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«فلمّا كانوا أبعدَ عن متابعة السلف كانوا أشهر بالبدعة»(٥).

فعلى الجماعات التي أخطأت طريق الدعوة الصحيح: (أن تدرس تاريخ الدعاة

---

(١) «الطحاوية»: (٢/٥٠٠).
(٢) «رسالة الردّ على الجهمي» ضمن كتاب «عقيدة الموحّدين»: (٢٢٠).
(٣) «الفتاوى»: (١٣/٨٥).
(٤) «الفتاوى»: (١٣/٣٠).
(٥) «الفتاوى»: (٤/١٥٥).

الأوّلين من الصحابة والتابعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا، والذين انتشر الإسلام بدعوتهم، بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة، ويسيروا سيرتهم، وينسجوا على منوالهم، مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس؛ وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يُكتب لدعوة أيّ نجاح أو أي تقدُّم، لأنه عمل لم يستوف الشروط، وهو عملٌ غيرُ صالح)[1].

(١) «مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث» للدكتور الشيخ: محمد أمان ـ رحمه الله ـ (ص ٢٤ ـ ٢٥).

المبحث الثالث

شمولية فهم السلف، ودعوتهم لإصلاح ما ينشأ في المجتمع من مخالفات

الدعوة السلفية المنطلقة من معالم سلف الأمّة من الصحابة والتابعين هي دعوةٌ شاملة في موضوعاتها وجوانبها؛ فليس الأمرُ كما يزعمُه من يزعمُه من أن دعوة التوحيد لا تَعرِف إلَّا جوانبَ محدودةٍ وضيِّقةٍ لا تتجاوزها.

وهذه شبهةٌ ماكرة خاطئة مخطئة، دعا القولَ بها التعصُّبُ والتحزُّبُ للتجمّعات المخالفة لمنهج السلف، ممّا ينتشر اليوم في عالمنا الإسلامي؛ وإلاّ فالأمر على خلاف ما يُنشر من مكائد وشبهات؛ فالمنهج السلفي هو دعوة الحق، دعوة الإسلام، والإسلام شامل لجميع نواحي الحياة، أتت دعوتُه لإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن الشبه والبدع إلى وحدة السنّة والعقيدة، ومن عذاب المعصية إلى سَعَة الطاعة ونورها.

فليس الأمرُ في الدعوة متوقّفًا على الأهواء والآراء، بل على ما حدّده الله ـ جلّ وعلا ـ، وأَولى الأمور أهميّةً وطاعةً في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ هو التوحيد؛ وأعظمها نكارةً وإثمًا مبينًا هو: الشرك؛ فإذا كان الداعية مُتدرِّجاً في دعوته وسيره من الأهمّ فالمهم على ما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فهو على الطريق الصحيح والنهج القويم.

ونهج التدرُّج لا يعني تركَ الإنكار على ما يقع في واقعه من معاصٍ وكبائر، بل هو في تدرُّجه ذلك يعتني بما ينشأ في واقعه ومجتمعه من معاصٍ وكبائر، ويدعو لتركها؛ وذلك كما قال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، جـ ٢/٢٧ ح/٤٩.

ولقد بعث الله نبيّه لإصلاح العالم، وتحقيق مصالح العباد، كما قال النبيُّ ﷺ: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمّته على خير ما يعلمُه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمُه لهم»(١).

فالدين أمرٌ ونهيٌ؛ أمرٌ بالخير، ونهيٌ عن الشرّ، لا يقتصر على شيء دون شيء، وإنّما الداعية المسلم هو الذي يراعي التدرُّج والأهميّة بين هذه الأشياء.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر»(٢).

والدعوة شاملة لكلّ الجزئيات لا تقتصر على جزئية دون أخرى، كما قال ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«فالدعوة والعبادة اسمٌ جامعٌ لغاية الحبّ لله وغاية الذُلِّ له»(٣).

والشريعة الإسلاميّة إنما جاءت لتحقيق المصالح وتكميلِها وتقليل المفاسد والتحذير منها، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«إن الشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل المصالح وتكميلِها، وتعطيل المفاسد وتقليلها»(٤).

فإذا كان الأمرُ كذلك فالدعاة إلى الله على منهج السلف يكون مقصودهم في دعوتهم تحقيق المصالح وتعطيل المفاسد على حسبها؛ فيُبدأ بالكبرى ثم الصغرى، وهلمّ جرّا في باقي المسائل؛ فإذا نشأ في المجتمع أمرٌ مخالفٌ للشريعة مجانبٌ للصواب فعلى الداعية أن يُبيِّنَ وجه الصواب فيه، وأن يعظ الناسَ لتركه واجتنابِه.

وعليه فإنّ المنهج السلفي الحقّ يراعي الدعوة إلى إصلاح ما ينشأ في مجتمع المسلمين من أمور طارئة عليه مخالفة للشريعة، نشرًا للفضيلة ودرءًا للرذيلة، وليس

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، / جـ ١٢/ ٣٢٢ح / ١٨٤٤

(٢) «الفتاوى»: (٦٥/٢٨).

(٣) «الفتاوى»: (٦/٢٠).

(٤) «منهاج السنّة»: (١٤٧/١).

قاصرًا وضيّقًا كما يدّعيه المدّعون ويفتريه المفترون. فإذا كان المنهج السلفي يُولي اهتمامًا أكبر وأعظمَ للتوحيد والدعوة إليه فليس معنى ذلك تركه لما يطرأ في مجتمع المسلمين من أمورٍ منكرة، وليس معنى الدعوة إلى التوحيد: أنّك لا تدعو إلى مقتضياته وتحقيق شروطه، بل هي الدعوة الكاملة إلى تحقيق (لا إله إلَّا الله) في كلِّ ما يطرأ في مجتمعات المسلمين؛ كل على حسب منزلته وقدره ، وبهذا البيان تنجلي تلك الشبهة التي أشاعها من جَهِل حقيقةَ دعوةِ السلف حيث اتهمها بالجمود على جانب من الدين فليس الأمر كذلك، بل هي تهمةٌ باطلةٌ لا تخرج الا من جاهل أو معاند كما سبق بيانه في أوّل هذا المبحث.

الفصل الرابع

الضوابط المتعلقة بأحوال الزمان والمكان للدعوة

ويتكوّن من ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة في صدر الإسلام، وحالها في هذا الزمان.
- المبحث الثاني: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة من مصر إلى مصر، بحسب أحوال الناس.
- المبحث الثالث: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة مع وجود الدولة المسلمة وعدمها.

المبحث الأول

مراعاة الفوارق بين حال الدعوة في صدر الإسلام، وحالها في هذا الزمان

هناك أمورٌ ينبغي على الداعية أن يكون واعيا لأمرِها، عارفا لشأنها، غير جاهل بها؛ إذْ من خلالها يسير الداعية في دعوته إلى الله ـ عزّ وجل ـ بما هو كفيلٌ بنجاحها، وبلوغ الهدف منها، بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، وبلا غلوٍّ ولا إجحاف.

فعلى الداعية أن يعرف أنّ هناك بونا شاسعا، وفرقا جليا واضحا بين عصر صدر الإسلام والعصور بعده، خاصّة هذه الأزمانُ فإنّه كلما بَعُد الزمان عن زمن النبوّة انتشرت المُخالفة والبدعة، فمن أراد من الدعاة في هذه العصور أن يكون مجتمعه مجتمعا مثاليا كما هو الحالُ في العصور المتقدِّمة ـ خاصّة صدر الإسلام ـ، مَن أراد ذلك فقد أغرب في تفكيرِه، وأخطأ في مسلكِه.

وإليك بعضا من النصوص الشرعية النبوية، والتي فيها بيان لتغيُّر الأحوال والأعصار، مما يجعل الداعية يُعطي كلَّ حق حقَّه، ويراعي في ذلك ما يحبُّه اللهُ ورسولُه ﷺ من المصالح الشرعية والمقاصد المرعية، ومن ذلك:

ما جاء في «الصحيح»: أن النبيَّ ﷺ قال: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلَّا وكان حقا عليه أن يدلَّ أمّتَه على خير ما يعلمُه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم؛ وإن أمّتكم هذه جُعل عافيتها في أوّلها، وسيصيبُ آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتن فيرقِّقُ بعضُها بعضاً» الحديث[1].

فهذا الحديثُ واضحٌ جليٌّ في أنّ أمرَ الأمّة في أوّلها يخالف آخرَها، وأنّ الأمّة مع تعاقب الأزمان وتبدُّل الأحوال، تضيق فيها دائرة الخير، وتتسع دائرة الشر، فممّا يجبُ على الداعية أن يجعل هذا الحديثَ نصب عينيه.

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، /ج١٢/٣٣٢ ح١٨٤٤.

وفي الحديث الصحيح: أنه ﷺ قال: «إنه ستكون هَناتٌ وهَناتٌ؛ فمن أراد أن يُفرِّق أمرَ هذه الأمة وهي جميعٌ فاضربوا عنقه بالسيف كائنا مَن كان»(١).

وجاء في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلةُ على قصعتها»، فقال قائلٌ: أَوَ مِنْ قلّة نحنُ يومئذ؟، قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنّكم غُثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوَهَن»، فقال قائل: يا رسول وما الوهنُ؟، قال: «حُبُّ الدنيا، وكراهية الموت»(٢).

فهذان حديثان فيهما الصراحة والبيان لتغيّر حال الأمّة عن أوّلِها، وأنه ستحدُث هناتٌ وأمور، ولا بد أن يعيَ الداعية هذا الأمر، بحيث يعتدل في دعوته وهدفه، ولا يشتطّ فيها؛ فيُطالِب بما يكون وقوعُه مستحيلاً، كأن يريد مجتمعا كمجتمع أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وفي معنى الأحاديث الماضية قولُهُ ﷺ: «إنها ستكون بعدي أَثَرةٌ وأمورٌ تنكرونَها»، قالوا: يا رسول الله كيف تأمرُ من أدرك منّا ذلك؟، قال: «تؤدُّون الحقَّ الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»(٣).

ومن الأحاديث في هذا المعنى ـ وهو تغيُّر الأحوال ـ قول عبادة بن الصّامت: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر، واليُسر، والمنشط، والمكْره، وعلى أَثَرةٍ علينا)(٤).

فهذه الأحاديث تعطي الداعية إشارةً واضحةً على تغيّر الأحوال والأعصار، وتفاوُت إيمان كلّ عصر عمّا قبلَه، وتفاوُت تطبيق معالم الشرع بين كلِّ زمان ومكان، وأنه لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال مقارنة عصره ﷺ بعصور غيرِه ـ وبخاصّة المتأخّرة عنه ـ؛ فالعصور بعدَه تكثُر فيها المخالفات والمنكرات، وتنتشرُ فيها البدعة، وتخفى في

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، /ج١٢/٣٣٥ ح ١٨٢٥.
(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم ح٤٢٩٧ جـ٥/٣٨، تحقيق: محمد عوّامة.
(٣) «صحيح مسلم» ج١٢/٣٢١ح ٨٨٤٣.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة جـ ١٠/٣١٦ ح١٧٠٩.

كثيرٍ منها معالمُ السنّة؛ فإذا لم يراعِ الداعية هذا فإنه سيعيشُ في تصوُّراتٍ قد تضرُّ به وبدعوته؛ وإذا لم يدرك الداعية هذا الأمر فإنه سيصاب بالهزيمة والفشل نفسيا وفعليا، وسيكون دائما في نظرةٍ قاتمةٍ للمجتمعات مما سيجعل دعوتَه تُصاب بالانحراف في مسيرتها وتصوُّراتها؛ فعلى الداعية أن يراعيَ في دعوته المسار الصحيح، والأسلوب الناجح على حسب ما يرى من أحوال الناس؛ فلا يُطالِبُ مجتمعَه بالمستحيل تحقُّقه، بل يدعو إلى الإصلاح حسب إمكانه بلا إفراط ولا تفريط، وبلا غلوّ ولا إجحاف.

وفي هذا يقولُ الطحاويُّ ـ رحمه الله ـ عند ذكرِه لبعض أحاديث الفتن:

«فهذه الآثار تسديد ما في الآثار في الباب الأوّل، وكلُّها يصدِّق بعضُها بعضا، وتُخبر بأنّ الأزمنة تختلف وتتباين، وأن كلَّ زمانٍ له حكمُه الذي قد بيّنه رسول الله ﷺ لأمّته، وأعلمهم إيّاه، وعلمهم بما يعملون فيه؛ فعلى الناس التمسُّك بذلك ولزومه، ووضع كلِّ أمرٍ موضعَه الذي أمرهم رسول الله ﷺ بوضعه، وأن لا يخرجوا عن ذلك إلى سواه»[1].

(١) «شرح مشكل الآثار»: (٣/٢٢٤).

المبحث الثاني

مراعاة الفوارق بين حال الدعوة من مِصْر إلى مِصْر آخر بحسب أحوال الناس

مما يجبُ على الداعية مراعاتُه وملاحظتُه أثناء قيامِه بالدعوة إلى الله، معرفتُه تلك الفوارق الطبيعيّة، والعادات المختلفة، والأحوال المتباينة بين البلدان والأمصار؛ بحيث يراعي في كلِّ حال ما يناسبُه من الأساليب القوليّة والفعليّة.

وقد اعتبر سيدُ الدعاة نبيُّنا ﷺ هذا الأمرَ في دعوته، كما جاء في القرآن الكريم ما يُبيِّن اعتبار الأحوال حيثُ أخبر الله ـ جلّ وعلا ـ أنه لم يرسل نبيا إلا بلسان قومِه لتقوم الحجّة عليهم بذلك، ولكي يكون بيانُه واضحا جليا لهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1]؛ فالآية جليّةٌ في الدلالة على اعتبار الأحوال والبيئات على حسب الأمصار والبلدان واختلافها في ظروفها.

ومما يدلّ على هذا الاعتبار بين الفوارق في الدعوة على حسب البيئة المحيطة بالدعوة:

أنّ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا يأتون أقوامهم ليدعوهم إلى ترك ناحية خاطئةٍ كان الأقوامُ يصرّون عليها، وتختلفُ تلك الأحوالُ الخاطئة من قومٍ إلى قوم؛ فها هو شعيبٌ مع دعوته إلى التوحيد الخالص والحثّ عليه، جاء ليصحِّح عملًا كان قومُه يصرُّون عليه ألا وهو تطفيف الميزان والكيل، كما قال ـ تعالى ـ عن دعوته: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾[2]

بينما كانت دعوة لوط ـ عليه السلام ـ في ناحية أخرى كان قومُه يصرّون عليها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ

---

(١) إبراهيم، آية: ٤.

(٢) الشعراء، آية: ١٨١.

مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[1].

فهذه نماذج من دعوات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ التي راعت بيئة أقوامهم على حسب اختلاف أحوالهم، وما يقع في أوساطهم، مع اتّفاقهم جميعاً على أصل الدعوة وهو التوحيد كما سبق بيانه.

وممّا يدلّ على هذا الاعتبار بين الفوارق في الأمصار والبلدان:

ما جاء عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسولَ الله ﷺ لَمَّا بعث معاذًا ـ رضي الله عنه ـ إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه: عبادةُ الله»[2]، ففي هذا الحديث إشارةٌ واضحةٌ من النبي ﷺ في اعتبار أحوال الأمصار والبلدان من حيث اختلاف المشارب والديانات ونحوه من الاختلافات الواقعة في الأمصار والبلدان؛ فلمّا كان معاذ مبعوثا إلى قوم كفّار من أهل الكتاب كانت دعوتُه بادئ ذي بدء إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ـ عزّ وجل ـ؛ إذْ لا قبولَ لأعمالهم إلّا بهذا الأمر الأوّل.

وهكذا فإنّ الداعية العارف بحال مِصْرِه وبلده الكائن فيه يستطيع من خلال تلك المعرفة سلوكَ طرقٍ وأساليب ناجحة في دعوة قومه؛ فإن لكل بلدٍ ما يخصُّه من الأخطاء وانتشارها فيه؛ وكما هو معلومٌ فيما سلف من الزمان من نشوء وانتشار الرافضة في الكوفة، والنواصب في الشام، وهلمّ جرا من تلك البلدان التي لا تكادُ تخرج عن شيء تُعرَف به بحيث يوليه الداعيةُ اهتمامَه أثناء قيامه بدعوته.

وممّا يدلُّ على اعتبار الفوارق بين الأمصار والبلدان:

ما جاء عن أنس ﷺ: أنّ النبي ﷺ لَمَّا أراد أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرأون كتابا إلا أن يكون مختوما. فاتّخذ خاتما من فضّة[3]، فهذا الحديثُ يدلُّ على ما سبق بيانُه من اعتبار الفوارق بين العادات والأحوال بالنسبة للبلدان التي يعيشُ فيها

---

(١) الأعراف: ٨٠/٨١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة جـ ٣/٤ ح١٣٩٥.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام جـ ٣٩/١٥ ح٧١٦٢.

الداعية؛ فها هو النبيُّ ﷺ لَمّا عرف عادة الروم في المكاتبات جرى على عادتهم ليكون ذلك أدعى لقراءة المكاتبات أو قبولها.

وعليه فإنه ينبغي للداعية معرفة تلك الفوارق بين العادات والأحوال على حسب البلد الذي هو فيه، ليكون ذلك أدعى لتبليغ دين الله في الأرض.

المبحث الثالث

مراعاة الفوارق بين حال الدعوة مع وجود الدولة المسلمة من عدمها

هذه المسألة طرقها العلماء ـ رحمهم الله ـ في (أبواب الفتن من مصنّفاتهم)، ومن أشرِّها فتنةُ خلوِّ مكانٍ ما من السلطان المطاع، وذهاب الأمن والأمان بسبب ذلك ـ نعوذ بالله من شرّ ذلك الحال ـ؛ ويُلحق بذلك أمرُ الأقليّات المسلمة التي تعيشُ في بلاد كافرة ـ كما سيأتي بيانُه ـ.

❑ **فمّما لا شكّ فيه: أنّ السلطان ترتبط به أمورٌ كثيرة:**

منها: ما يخصُّ الدعوة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنها: غير ذلك من إقامة الحدود، وحراسة الثغور، وعقد العقود، ودواوين المحاكم،وتأمين السّبل ونحوها.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«ولأنّ الله ـ تعالى ـ أوجبَ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتمُّ ذلك إلَّا بقوّة وإمارة؛ وكذلك سائرُ ما أوجبه الله من الجهاد، والعدل، وإقامة الجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا يتمّ ذلك إلَّا بالقوّة والإمارة»[1].

ومن هنا نُدرك شأن الحاكم في الدولة المسلمة وما يترتب على حكمه من واجبات وما أُنيط به من حقوق، وما ينتشر من خيرٍ وأمن للأمّة بسبب طاعته واجتماع الناس عليه، والفتنةُ تكمن في خلوّ مكانٍ ما من إمام مطاع. نعوذ بالله من ذلك الحال.

ولا بدّ للمُسلم أن يتعامل مع كلِّ واقعٍ تعامُلَه الذي دلّت عليه السنّة، والأصلُ في ذلك التعامل السُّنِّي الحكيم هو: حديث حذيفة المشهور عندما سألَ النبيَّ ﷺ عن الخير والشرّ، فقال له رسولُ الله ﷺ بعد بيان شرِّ آخر الزمان له قال: «تلزم جماعةَ المسلمين وإمامَهم»، فقال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟، قال: «اعتزل

(١) «السياسة الشرعية» لابن تيمية (ص ١٦٢).

تلك الفرقَ كُلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدركَكَ الموتُ وأنت على ذلك»[(١)].

❑ **ويرد من خلال هذا الحديث سؤال جدٌّ هام، لا بدَّ من التفطُّن إليه والإجابة عليه؛ وهذا السؤال ذو شقَّين:**

الشقّ الأوّل: (مَنْ هم جماعة المسلمين المعنيّون في هذا الحديث؟)، والشقُّ الثاني: (من هو إمامُ تلك الجماعة؟).

فللجواب على السؤال الأوّل: نسوق ما اختارَه الطبريُّ الإمامُ من أنّ الجماعة: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أميرٍ، فأَمَر ـ عليه السلام ـ بلزومه، ونهى عن فِراقِ الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمِه عليهم؛ لأنّ فراقَهم لا يعدو إحدى حالتين:

إمّا النكيرُ عليهم في طاعة أميرِهم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعةٍ في الدين، كالحروريّة التي أُمرت الأمّةُ بقتالِها، وسمّاها النبيُّ ﷺ مارقةً من الدين.

وإمّا لطلب إمارة مِنْ انعقاد البيعة لأمير الجماعة؛ فإنه نكثُ عهدٍ ونقض عقدٍ بعد وجوبِه؛ وقد قال ﷺ: «من جاء إلى أمّتي ليفرّق جماعتَهم فاضربوا عنقه كائنا مَن كان[(٢)]»[(٣)] اهـ.

ففي هذا الكلام بيانٌ لمعنى الجماعة ألا وهو إجتماع الناس على أميرٍ مطاع،وعليه فإنّ شقّ عصا الطاعة في هذه الجماعة مُخالفةٌ للهدي النبويِّ الرشيد.

وبعد بيان معنى الجماعة من كلام أهل العلم، فأقول متحدِّثا بنعمة الله: إنّ أرض الحرمين المملكة العربية السعودية تتفيَّأُ ظلال حكمٍ اجتمعت عليه الخاصةُ والعامةُ على إمامٍ مُختارٍ تمّت مُبايعته على الكتاب والسنّة، يحكّم عبادَ الله بشرعِ الله ـ والحمد الله ـ؛ ولذا فإنّه ينطبقُ علينا وصفُ هذه الجماعة انطباقا تاما.

وللجواب على الشقّ الثاني من السؤال: إليك ما قاله الشوكانيّ تعليقا على قول

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة جـ ٣٢٨/١٢ ح١٨٤٧.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، / ج١٢/ ص٣٣٥ ح١٨٥٢.
(٣) «الاعتصام» للشاطبي (٧٧٤/٢).

صاحب «حدائق الأزهار»: «ولا يصحُّ إمامان».

قال ـ رحمه الله ـ:

«وأقول: إذا كانت الإمامة الإسلامية مختصّة بواحد، والأمورُ راجعةٌ إليه، مربوطةٌ به كما كان في أيّام الصحابة والتابعين وتابعيهم: فحكم الشارع في الثاني الذي جاء بعدَ ثبوت ولاية الأوّل أن يُقتَل إذا لم يَتُب عن المنازعة...» إلى أنْ قال: «وأما بعد انتشار الإسلام واتّساع رقعته، وتباعُد أطرافه فمعلومٌ أنه قد صار في كلّ قطر ـ أو أقطار ـ الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمرٌ ولا نهيٌ في قطر آخر، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته؛ فلا بأس بتعدّد الأئمّة والسلاطين، ويجب الطاعةُ لكلٍّ واحدٍ منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذُ فيه أوامره ونواهيه»[1].

وفي تأكيد هذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلَّب على بلدٍ من البلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم» [2]

وفي كلام الشوكاني ـ رحمه الله ـ بيانٌ لمعنى إمام الجماعة؛ ألا وهو من بايعه أهل الحل والعقد في قُطر من الأقطار.

فيجب على كلِّ أهل قِطرٍ مبايعة وطاعةُ من وليَ قطرهم؛ إذ لا بأس بتعدّد الولايات والسلاطين، ومبايعة أهل كلِّ قطرٍ لمن وليَ ذلك القطر؛كما هو الحال اليوم.

وعلى ما مضى من تفصيل أقول: إن الناظر بعين البصيرة وثاقب الفكر بعيدًا عن العاطفة، متجرّدًا عن التعصُّب الأعمى، واضعا نُصْب عينيه مصلحة الإسلام وأهله، يظهر له بجلاء أنّ الأحوال الواردة على الأمة تكون على ثلاثة أصناف:

---

(١) «السيل الجرّار» للشوكاني: (٥١٢/٤).

(٢) «الدرر السنية» جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٢٣٩/٧). وانظر مزيد بيان في «فتح الباري» (٧/١٣).

أحدها: من ولايته غيرُ مسلمة، وهم مَن في أوروبّا وأمريكا وبعض دول آسيا، وغيرهم من الأقليّات المسلمة.

وثانيها: من ولايتُه ولاية مسلمة، وهم أهل دار الإسلام الخالصة من حكّام ومحكومين؛ وهم مَن عدا الصنف الأوّل.

ثالثها: أن لا تكون هناك ولاية مطلقاً.

فالفتنة حاصلة بينهم بسبب عدم وجود الحاكم المُطاع، ولذلك فسّر بعض العلماء الفتنةَ بعدم وجود السلطان؛ كما قال الإمامُ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في معرض كلامِه عن الفتن، فيقولُ:

«والمراد بالفتنة: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حتى لا يُعلم المحقّ من المُبطل»[1] اهـ.

فإذا خلا مكان ما عن السلطان المطاع عظُمت الفتنة، وطار شررُها، وعمَّ أمرُها القاصي والداني؛ يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: (الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين)[2].

ولذلك كان هذا مدخلًا لشيخ الإسلام في ردِّه على الرافضة في عقيدتهم في المهدي المنتَظر، وأنهم ينتظرون إماماً عند السرداب؛ فقد عاب عليهم ـ رحمه الله ـ هذا بعدم قيام المصلحة التي من أجلِها نُصِب الإمام؛ فيقول ـ رحمه الله ـ:

«لم تنتظم لهم مصلحةٌ لكثرة اختلافهم وافتراقهم، وخروجهم عن الطاعة والجماعة»[3].

ويؤكد هذا المعنى ابن حزم ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

«وهذا لا بدّ منه ضرورةً؛ وهذا مُشاهدٌ في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يُقام هناك حكمٌ حقّ ولا حدّ، حتى قد ذهب الدينُ في أكثرِها»[4].

---

(١) «الفتح»: (٣١/١٣).
(٢) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٣١١/١).
(٣) «منهاج السنّة» لابن تيميّة ١١٥/١.
(٤) «الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل» لابن حزم ١٥٠/٤.

ويسرد الغزاليُّ ـ رحمه الله ـ مفاسد هذه الفتنة فيقول:

«وهو أنّ الدنيا والأمن على النفس والأموال لا تنتظم إلَّا بسلطان مطاع، فتشهد له مشاهدةُ أوقاتِ الفتن بموت السلاطين والأئمّة، وأن ذلك لو دام ولم يُتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج وعمّ السيف، وشَمُلَ القحط، وهلكت المواشي، وبطلت الصناعات»(١).

ويشرح صاحب «غياث الأمم» كيفيّة التعامُل مع هذا الواقع المليء بالفتن، وكيف يُمارس المسلم حقّ الدعوة والأمر بالمعروف، وما هو الممنوع من ذلك من المسموح؛ فيقول:

«ولو سعى عند شغور الزمان طوائف من ذوي النجدة والبأس في نفض الطرق عن السعاة في الأرض بالفساد، فهو من أهمّ أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٢).

ويقول: «فإذا خلا الزمانُ عن السلطان وجب البدارُ على حسب الإمكان إلى درء البوائق عن أهل الإيمان، ونهْيُنا الرعايا عن الاستقلال بالأنفس من قبيل الاستحسان على ما هو الأقْرَبُ إلى الصلاح والأدنى إلى النجاح، وفي تمليك الرعايا أمور الدماء وشهرَ السلاح وجوهٌ من الخَبَل لا ينكرها ذو العقل»(٣).

ففي هذا الكلام بيانٌ لما يجب فعلُه وقت الفتن حين خلوٍّ مكان ما من سلطان مسلمٍ مطاع حيث يجب اعتزال الفتنة، وعدم الخوض في شؤونها.

ولكن لا مانعَ من أن تقوم فئةٌ من ذوي النجدة والبأْس لردّ سُعاة الفساد في الأرض عن المسلمين إذا اضطرُّوا إلى ذلك من باب حكم ردّ الصائل عن النفس والمال والأهل.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان فقد يكون غيرَ مستحسن في هذه الأوقات المشار إليها لِمَا سيفضي إليه الأمرُ إلى حدوث ما هو أنكر من تسلُّطِ على الآمر والناهي بما يكون ضررًا عليه وعلى مَن حولَه؛ إذْ لا قائم على الأمر يحجز أهل

---

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي (٤٨).
(٢) «غياث الأمم»: (٣٨٦).
(٣) «غياث الأمم»: (٣٨٦).

الفساد عن الضررِ به.

ولذلك يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ:

«فإذا كان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكرُ منه أو أبغض إلى الله ورسوله ﷺ فإنه لا يسوغ إنكارُه»[(١)].

ففي بعض الأحوال كأحوال الفتنة مثلًا قد يترك المسلم الأمرَ بالمعروف،والنهي عن المنكر ويسقط الفرض عنه، ويرجع أمره إلى خاصّة نفسه، وفي تأكيد هذا الأمر وتجليتِه يقول الطحاويُّ ـ رحمه الله ـ:

«فيما ذكرنا توكيدُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يكون الزمان الذي ينقطع ذلك فيه، وهو الزمانُ الذي وصفَه رسول الله ﷺ في حديث أبي ثعلبة الخُشني الذي لا منفعة فيه بأمرٍ بمعروف ولا نهي عن المنكر، ولا قوّة مع من ينكره على القيام بالواجب في ذلك، فسقط الفرض عنه فيه، ويرجع أمرُه فيه إلى خاصّة نفسِه»[(٢)] اهـ.

فإذا تقرّر هذا فإنه لا يدخلُ فى الباب تركُ النهى عن المنكر قلبا، بل هو واجب على كل الأحوال، إذ لا فتنة تحصُل من هذا؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«فأمّا القلب فيجبُ بكلِّ حالٍ، إذْ لا ضرر في فعلِه»[(٣)].

وأما التعامُل مع الحكّام الكافرين الذين يلُون بعض المسلمين ـ كحال الأقليات المسلمة ـ من حيث عدم جواز الدخول في الفتنة بالتحرُّش بهم، أو إحداث شيءٍ يعود عليهم بالضرر، أو لفت نظرهم إلى ما يكون طريقا لأذيّة المسلمين، وفي فيلخص هذا المسلك الحكيم الشيخُ صالح الفوزان ـ حفظه الله بقوله:ـ

«وأما التعامُل مع الحاكم الكافر فهذا يختلف باختلاف الأحوال، فإذا كان في المسلمين قوّةٌ وفيهم استطاعةٌ لمقاتلته وتنحيتِه عن الحكم وإيجاد حاكم مسلم فإنه يجبُ عليهم ذلك؛ وهذا من الجهاد في سبيل الله، أما إذا كانوا لا يستطيعون إزالته فلا يجوزُ لهم أن يتحرّشوا بالظلمة والكفرة؛ لأنّ هذا يعود على المسلمين بالضرر والإبادة؛

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/٣)

(٢) «شرح مشكل الآثار»: (٢١٣/٣).

(٣) «الاستقامة» لابن تيمية: (٢١٢/٢).

والنبيُّ ﷺ عاش في مكّة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة والولاية فيها للكفّار ومعه مَن أسلم من أصحابه، ولم ينازلوا الكفّار، بل كانوا منهيّين عن قتال الكفّار في هذه الحِقْبة، ولم يُؤمروا بالقتال إلَّا بعدَ ما هاجر النبيُّ ﷺ وصار له دولةٌ وجماعةٌ يستطيع بهم أن يقاتل الكفّار، هذا هو منهج الإسلام؛ فإذا كان المسلمون تحت ولاية كافرة ولا يستطيعون إزالتها فإنهم يتمسّكون بإسلامهم وبعقيدتهم، ولكن لا يُخاطرون بأنفسهم ويغامرون في مجابهة الكفّار؛ لأنّ ذلك يعود عليهم بالإبادة والقضاء على الدعوة»[1].

● **ومن خلال العرض في هذا المبحث للفروق بين الدعوة حال وجود الدولة المسلمة وعدمه، يتلخّص ما يلي:**

١ ـ يجب على كلِّ مُسلمٍ وضع كلِّ شيء موضعه الذي أمر الله به ورسولُه ﷺ.

٢ ـ الأمر بالمعْروف وإنكار المنكر على حسب الاستطاعة، كما إذا كان لا يؤدي إلى منكرٍ أعظم منه، فإذا لم يستطع المسلم ذلك فيبقى إنكار القلب في حقِّه واجباً، وعليه اعتزال الفتنة حينئذٍ.

٣ ـ قيام أفرادٍ من المسلمين في البلد الذي خلا من سلطانٍ وعمّت الفتنة فيه، قيام بعضهم بردٍّ فساد سعاة الفساد في الأرض إذا اضطّروا إلى ذلك من باب دفع الصائل.

٤ ـ يُلحق بالمسألة ما إذا كان المسلمون تحت ولايةٍ كافرةٍ لا يستطيعون إزالتها،فإنّهم يتمسكون بعقيدتهم ولا يُخاطرون بأنفسهم؛لأن ذلك يعود عليهم بالضرر.؟

---

(١) «مراجعات في فقه الواقع السياسي» للشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ صالح السدلان ، جمع الرفاعي (ص ٥٢).

الباب الثاني

وسائل منهج السلف في الدعوة إلى الله

وفيه فصلان:

- الفصل الأوّل: في التعريف بوسائل الدعوة، وبيان أقسامها.
- الفصل الثاني: في الوسائل الشرعية للدعوة على ضوء الأسس السلفية.

الفصل الأول

في التعريف بوسائل الدعوة، وبيان أقسامها

ويتكوّن من ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الوسائل العادية
  تعريفها، وضابطها، ومشروعيتها.
- المبحث الثاني: الوسائل التعبدية
  تعريفها، وضابطها، ومشروعيتها.
- المبحث الثالث: في حكم الوسائل، وبيان الأقوال، ووجه الحق فيها.

تمهيد
في تعريف الوسائل

يُقال: وسل فلانٌ إلى ربّه وسيلةً: إذا عمل عملًا تقرَّب به إليه؛ وتُطلق على الوسيلة والقُربى. وجمعُها وسائل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[١].

فالمراد بالوسيلة هنا: ما اتُّخذ قُربةً إلى الله ـ تعالى ـ ووسيلةً لحصول رضاه ـ سبحانه وتعالى ـ[٢].

يقول الراغب: «الوسيلة: التوصُّل إلى الشيء برغبةٍ»[٣].

● المراد بها في مسائل الدعوة:

تكاثرت عباراتُ التعريفِ لها، وهي مع تكاثُرها تدلُّ على شيء واحد وماهيّةٍ واحدة، مع ارتباط تلك المعاني بالتعريفات اللغوية الآنفة الذكر؛ فمن تلك التعريفات:

قال الشيخ العلاّمة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«هي: الطرق التي يتوصَّل بها الداعي إلى تبليغ دعوته»[٤].

ومنها: قولهم: «هي كُلُّ طريقةٍ مشروعةٍ يلجأُ إليها الداعي إلى الله ليحقِّق بها أهدافَ الدعوة»[٥].

ومنها قولهم: «هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة»[٦].

فالذي يظهر من هذه التعريفات وغيرها: أن وسائل الدعوة هي ما به يُبلِّغ الداعيةُ دعوتَه ويسلكَ بها مسالك النجاح حتى يصل إلى الهدف الأساسي للدعوة، ألا وهو:

---

(١) الإسراء، آية: (٥٧).
(٢) «تهذيب اللغة»: (٦٧/١٣)، «لسان العرب»: (٣٠١/١٥).
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن»: (ص ٨٧١).
(٤) «رسالةٌ في الدعوة إلى الله» للشيخ ابن عثيمين (ص ١١).
(٥) «فقه الدعوة» علي عبد الحليم محمود (ص ١١١).
(٦) «الحكمة في الدعوة» لسعيد القحطاني (ص ١٢٥).

هداية الناس وإرشادهم للتي هي أقوم.

ولا يظهر بين هذه التعريفات كبيرُ خلافٍ، إنما هو اختلافٌ في الألفاظ يتوارد على معنًى واحد وماهيّةٍ واحدة.

الفرق بين الوسيلة والأسلوب:

يظهر من تعريفات كلٌّ منهما أن بينهما فرقا واضحا إذا اجتمعا وذُكرا جميعا، وينتفي ذلك الفرقُ إذا ذُكرا متفرّقين؛ فإذا قُرن الأسلوب مع الوسيلة فإنّ لكلٍّ منهما معنىً يخصُّه.

فيُراد بالوسيلة: الأشياءُ المادِّية التي من خلالِها يُبلِّغ الداعية دعوتَه، كآلات الصوت، والكتُب، وغيرها.

ويُراد بالأسلوب: الطريقةُ الكلاميّةُ التي تفنّن الخطيب، أو الكاتبُ فيها لإقناع المدعو؛ فالأساليب البلاغيّة في الكلام تُسمّى أسلوباً، وجَعْلُ ذلك في كتابٍ ورقي يُسمّى وسيلة.

وقد يُطلق لفظ (الوسيلة) على الجميع، من باب أن جميعها قد استعان بها الداعيةُ لتبليغ دعوتِه؛ فيصبح لفظ (الوسيلة) أعمَّ من لفظ (الأسلوب)؛ وقد درجت كثيرٌ من الكتب المؤلّفة في مسائل الدعوة على هذا؛ فالأمرُ أشبه ما يكون بالخلاف اللفظي الذي لا أثر له [1].

- **وتنقسم الوسائل إلى قسمين:**

وسائل عادية.

ووسائل تعبُّديّة.

وإليك بيانها في المباحث التالية.

---

(١) أذكر هنا كلاماً علّق به شيخنا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله على الصفحة الأولى من البحث (حيث فرّق بين الأسلوب والوسيلة بأنّ الوسائل هي الوسائل المادية كالآلات فهذا القسم لا يدخله التوقيف إنما التوقيف خاصّ بالأساليب والتي يُطلَقُ عليها مناهج الدعوة)

المبحث الأول

الوسائل العادية
تعريفها، وضابطها ومشروعيتها

● **القسم الأوَّل: الوسائل العاديّة.**

❑ **والمراد بها:**

الوسائل التي تخدم الداعية في تبليغ دعوته مما جرت به عادةُ قومِه، ويُحتِّمُها عليه تطوُّر عصرِه، كوسائل تكبير الصوت، سواء كان التكبير خاصا محدودًا في مكبِّرات المساجد مثلاً، أو كان عاما واسعا كالمذياع، وغيره من آلات النقل الصوتي؛ فتلك هي الوسائل الماديّة التي جرت عليها عادة العصر والأقوام، ممّا يكثُر التفاوت في نوعيّتها تبعا لعادة الناس، وتطوُّر عصرهم وصناعاتهم.

❑ **مشروعيّتها:**

مما لا ريب فيه: أن هذه الوسائلَ يرتبطُ حكمُها بحكم ما قُصدت له؛ فالحكم فيها ليس لذاتها، وإنما لغيرها مما اقترنَ بها من استخدام؛ فمن استخدمها فيما لا يحلُّ من الأقوال والأفعال فحكمها حينئذ حكم ما استُخدمت له، والعكس بالعكس؛ فمن استخدمها فيما يرضي الله من الأقوال والأفعال كان حكمُها تبعا لما استُخدمت له.

وحينئذ نقول: إن استخدام هذه الوسائل الماديّة مهمٌّ في الدعوة إلى الله؛ فثناء الله على القيام بالدعوة في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾... الآية[1] يستلزم الاقتداء بالرسول ﷺ في شأنه؛ حيث بلَّغ الدعوة ﷺ مشارق الأرض ومغاربها من خلال المضمون الكريم، والمنهج الحكيم، والأسلوب البليغ، والجهد الدءوب، والاستغلال الأمثل للوسيلة المباحة والمتاحة[2]؛ فيجب على الداعية أن يُسهم في البرامج الدينيّة في الإذاعة، والتلفاز، ويكتب في الصحف

---

(١) فصّلت، آية: ٣٣.

(٢) انظر: «مجلة التوعية الإسلامية» عدد (٢١٥)، مقالة للدكتور: سيد ساداتي (ص ٢١٠).

والمجلاّت الهادفه؛ لأنّ هذه الوسائل تغزو كلَّ مكان، وتدخُل كلّ بيت، وتُصاحبُ المسافر والسائر في الطريق(١).

● **الأصل في هذه المشروعية:**

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٢) فالآية مطلقة في نوعيّة القوّة، لم تحدِّد مصادر القوّة وطرقها؛ فكما كانت القوّة في عهده ﷺ في السيف والسنان، فإنّ القوّة في عصرنا تختلف عن هذا تماما بسبب ما تطوّرت به الصناعات الحربيّةُ التي أصبحت اليومَ مجالًا للقوّة؛ فيجب على المسلمين الأخذ بهذا التطوُّر لنصرة دين الله، وأن لا يدعو هذه الوسائل الجديدة المباحة المتاحة التي تمكِّنهم من نصرة دين الله في مشارق الأرض ومغاربها.

وتلك إشارة عظيمةٌ تخصُّ موضوعنا الذي نحنُ بصدده من وجوب استغلال الداعية لهذه الوسائل الجديدة المتاحة في تبليغ الدعوة وإيصال الخير لعموم المسلمين مشارق الأرض ومغاربها.

ويدلُّ على ذلك: أنّ النبي ﷺ لما مرض وطلب من عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن يُصلِّي أبو بكر بالناس، جاء في حديث هذه القصّة قولُها: (وكان النبيُّ ﷺ يُصلّي بالناس وأبو بكر يُسمعُهم التكبيرَ)(٣).

ففي إسماع أبي بكر رضي الله عنه التكبيرَ للناس دليلٌ واضحٌ على مشروعيّة استغلال ما به يقومُ الواجبُ في الدعوة؛ ففي الحديث إشارةٌ واضحةٌ على أنه يجب على الداعية استغلالُ الوسائل الدعويّة التي لا يقوم الواجب - أو كمال الواجب - إلَّا بها؛ إذْ لا محظور يرد على استخدامها على هذا النحو الذي بيّناه سابقا؛ فإذا كانت مفيدةً في إنجاح مسلك الدعوة ولا محظور فيها بقي حكمُ أصلها على الإباحة.

---

(١) انظر: «مجلة البحوث الإسلامية» عدد (٣١)، مقالة للشيخ: صالح الفوزان (ص١٦١).
(٢) الأنفال، اية ٦٠.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ج ١٨٦/٤ ح٤١٦.

المبحث الثاني

الوسائل التعبدية
تعريفها، وضابطها، ومشروعيتها

- **القسم الثاني: الوسائل التعبُّديّة.**

هي: تلك الوسائلُ التي تُتّخذُ عبادةً في ذاتها لتبليغ عبادة الدعوة إلى الله؛ فليست هي عاديّة ماديّة، بل تُتّخذُ عبادةً وقُربةً؛ ومثال ذلك: وسيلة أو أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي بالنسبة لتبليغ دعوة الإسلام وتصحيح المفاهيم عند الناس تُعَدُّ وسيلةً، وهذه الوسيلة مأمورٌ بها عبادةً وقُربة لله تعالى؛ فهي وسيلةٌ تعبُّديّة لاقتران الأمر بها، بعكس الوسيلة العاديّة فهي على الإباحة لا يتعلّق بها أمرٌ ولا نهيٌ لذاتها.

وكذلك وسيلةُ أو أسلوب الحكمةِ في الدعوة إلى الله؛ فهي باعتبارها طريقا للهدف المطلوب في الدعوة تكون حينئذ وسيلة؛ وهذه الوسيلةُ تعبُّديّة لتعلّق الأمر بها.

- **وسيأتي مزيدُ بيانٍ لشرعيّة كثيرٍ من الوسائل الدعويّة في الفصل الثاني من هذا الباب.**

المبحث الثالث

في حكم الوسائل، وبيان الأقوال، ووجه الحق فيها

● **تمهيد:**

بادئ ذي بدء ينبغي أن يُعرف أن هذا الباب دقيقٌ أمرُه، مهمٌّ شأنُه، زلّت فيه أقدام، وضلّت فيه أفهام؛ اختلط على كثيرٍ من الكُتَّاب ضبطُه، وذلك لقلّة النظرة المتجرّدة في هذا الباب؛ فكثيرٌ من الكتّاب كتبوا في هذا الباب من خلال مسارات دعويّة تأثّروا بها، أو من خلالِ نظرةٍ قاصرة ولجوا من خلالها، غير معتمدين على أصلٍ ثابت يُرجع إليه في مثل هذه الأمور.

وإليك أمثلةً تدلُّ على الخلْط الحاصل في هذا الباب، فأقول:

سبق أن بيّنا لك الفرقَ الواضح الجليّ بين الوسائل العاديّة الماديّة والوسائل التعبديّة، وعرفنا من خلال ذلك حكمَ كلٍّ؛ فالوسائل الماديّة تبقى على أصل الإباحة، والوسائل التعبّدية مبنيّة على التوقيف، ومع هذا الفرق الواضح إلَّا أن أُناسا من الكتّاب خلطوا في هذه المسألة حيث صوّروا أن هذه المسألة ـ ألا وهي التوقيف وعدمه ـ منصبّةٌ على تلك الوسائل الماديّة الباقية على أصل الإباحة.

وهذا ليس بصحيح في تحرير محلِّ النزاع في المسألة، وإليك طرفاً من النقولات التي خلطت في هذا الأمر:

حيث يقولُ أحدُ الكتّاب:

«إن العالم يتغيّر، والحياة تتطوّر، وليس كلُّ ما كان ملائما بالأمس يلائم اليوم؛ فقد كان الحصانُ أسرع وسائل المواصلات بالأمس، فهل يجوز الاعتماد عليه اليوم في عصر الصاروخ ومراكب الفضاء؟»[1].

---

(١) «الحلّ الإسلامي» يوسف القرضاوي (٢٣٩).

ويقول آخر في خلط حكم المسائل المادية مع غيرها:

«والوسائل والأساليب من الأمور الاجتهاديّة، ولا يصح القول بأنها توقيفيّة... فمن ذلك: استعمال بعض أنواع سلاح الفرس، ووضع الدواوين... وإني لأجزم ببدعيّة القول بالتوقيف»(١).

فالناظر في مثل هذه المقولات ليتضحُ له اتضاحا جليا أن المسألة التوقيفيّة منصبّةٌ على الوسائل الماديّة العاديّة.

وليس الأمرُ كذلك، بل العكسُ تماما ـ كما سيأتي بيانُه في موضعه

ولأجل مثل هذه المقولات التي صوّرت الموضوع تصويرًا غير دقيق؛ أحببتُ أن أمهِّد للموضوع بهذه المقدِّمة.

وخلاصةُ الأمر من هذا التمهيد:

أن المسألة المراد بيانُها ليست منصبّة على الوسائل العاديّة الماديّة، بل الوسائل الماديّة العادية تبقى على أصل الإباحة ولا ينالُها حكم التوقيف؛ فإدخالُها في مسألة (هل وسائل الدعوة توقيفيّة أم لا؟)، ليس إدخالًا محكَما علميا، وليس هو من باب الإنصاف في هذه المسألة؛ وقد سبق بيانُ الأمر ببعض أدلّته الشرعية في مبحث (الوسائل العادية الماديّة).

فالوسائل المادية تبقى على أصل الإباحة، ولا يشملها حكم المسألة بل قد تدعو الحاجةُ إليها، مع عدم وجودها في عهد رسول الله، «ألسنا نبلِّغ الناس بواسطة مكبّرات الصوت؟، هل هذه الوسيلة موجودة في عهد النبي ﷺ؟، ألسنا نقرأُ الكتب؟، ونلبس النظّارة من أجل تكبير الحرف أو بيانِه؟... ألسنا نضع في أذُن خفيف السمع سمّاعة يسمعُ ما يُلقى عليه من الخير؟»(٢).

والخلاصة؛ أنّ تلك الوسائل باقيةٌ على أصل الإباحة، ويختلف حكمها باختلاف ما يقترن بها.

---

(١) «منهج ابن تيمية في الدعوة» عبد الله الحوشاني (٢/٥٣٨).

(٢) «لقاء الباب المفتوح» رقم (٢١)، (ص ٢٦ ٢٧).

● **الأقوال في المسألة:**

❑ **قال قومٌ:**

بأن وسائل الدعوة يُصارُ فيها إلى الاجتهاد والمصلحة الدعويّة؛ فما كان محقّقا للغاية المطلوبة فإنّنا نعتبره وسيلةً دعويّة؛ واعتبروا أن المرونة في الوسائل والأساليب والشكليّات دليل الحيويّة وخصوبة التفكير وسعة الأُفُق[1]، وانطلق هؤلاء من منطلقات وارتباطات فكريّة؛ حيث أطلقوا لأنفسهم عنان الوسائل والأساليب، وجعلوها قائمةً على اجتهادات أصحاب الدعوة في تحقيق أهداف دعوتهم؛ فتراهم يسلكون الأساليب المتنوعة والوسائل المتعدّدة، من غير تقيُّد بالضوابط الشرعية.

● **وإليك أمثلةً واقعيّةً من تلك الوسائل التي اعتبرَها هؤلاء سبيلًا لتحقيق أهدافهم ونجاح مسيرتهم:**

فمنها: أنهم جعلوا مسلك التجميع لأفراد الأمة بشتّى طوائفهم وعقائدهم، جعلوا ذلك سبيلًا ووسيلةً لتحقيق أهداف الدعوة؛ فيكثرُ في كلامهم الوسيلةُ المعروفةُ عندهم ألا وهي قولهم: (نعملُ فيما اتّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).

ولذا فإن أصحاب هذا المسلك ينقدون طريق أتباع السلف في بيان الحق وتجليته للناس، وتحذير الناس من البدع وأهلها، حتى قال قائلُهم ـ في ذمِّ طريقة السلف في التحذير من البدع وأهلها ـ:

(ماذا يُريدُ هؤلاء؟، يريدُ هؤلاء تعطيل كلّ الأسباب والمناخات والمناسبات التي يمكن أن يُسَخّرها المسلمون اليوم ليتعلموا إسلامَهم، وليتفقّهوا في دينِهم، وليعوا قضاياهم المصيريّة في ضوء الإسلام بحجّة أنها بدعةٌ... فإذا أقيم احتفالٌ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج... قالوا: إن هذه الاحتفالات بدعة)[2].

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هذه الوسيلة التجميعية التي دعا إليها أصحابُها وجعلوها سبيلًا ووسيلةً لنصرة المسلمين وإقامة الدين؛ فمتى كان السكوت عن البدع وعدم إنكارِها وسيلةً لنصرة المسلمين؟، أليس في هذه الوسيلة التجميعية هدما لقاعدة الولاء

(١) «الحل الإسلامي» القرضاوي (٢٥١).
(٢) «احذروا الإيدز الحركي» لفتحي يكن (ص ٣٣/٣٢).

والبراء؟، أليس في هذه الوسيلة ضياعا للحق والسنّة وانتشارًا للباطل والبدعة، ومخالَفةً لهدي سلف الأمّة؟.

فهذه المسألة ـ أعني: الاحتفالات البدعيةِ التي أنكرَها العلماء المسلمون في كتبهم وبيَّنوها، وحذّروا الناسَ منها قديما وحديثا ـ هذه المسألة بسبب المرونة المدّعاة أصبحت وسيلةً شرعية دعويّة من خلالها يقامُ الدين، ويُنصرُ المسلمون.

وإليك كلاما مجملًا بنور الكتاب والسنّة في الردّ على هذه الوسيلة وبيان خطورتها من العلاّمة الإمام مفتي الأنام الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ، حيث قال في الردّ على هذا المسلك:

(ولا ريبَ أنه يجبُ على المسلمين توحيد صفوفهم، وجمعُ كلمتهم على الحق، وتعاونهم على البرّ والتقوى ضدّ أعداء الإسلام، كما أمرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]... ولكن لا يلزم من وجوب اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله ألاَّ ينكروا المنكر على من فعلَه أو اعتقدَه من الصوفيّة أو غيرهم؛ بل مقتضى الاعتصام بحبل الله أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر)[2].

ومن الأمثلة على وسائل الدعوة الاجتهاديّة على هذا القول:

الدخولُ في الجماعات الدعوية المتنوّعة، والارتباطات الفكرية المتعدّدة، وجعلُ ذلك وسيلةً لنصرة الدين.

ونظرًا لخطورة هذه الوسيلة على الدين والمجتمع من حيث الابتداع والافتراق؛ فقد انعقد (مجلس هيئة كبار العلماء) في دورته المنعقدة في الطائف في ربيع الأوّل، عام ١٤١٣هـ، لبيان هذه المسألة الخطيرة والتحذير منها؛ وإليك بعض نصِّ الخطاب:

(كما يُحذِّر ـ أي: المجلس ـ من أنواع الارتباطات الفكريّة المنحرفة، والالتزام بمبادئ جماعات وأحزاب أجنبيّةٍ؛ إذ الأمّة في هذه البلاد يجب أن تكون جماعةً واحدة

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات»: (ج٣/٦٩).

متمسّكة بما عليه السلفُ الصالح وتابعوهم، وما كان عليه أئمة الإسلام قديما وحديثا من لزوم الجماعة)[١].

. ففي هذا الكلام ما يردُّ على كثير من الكتب التي جعلت.الدخولَ في الجماعات وولوجَ أفكارها وسيلةً دعويّة لنصرة الدين، وذلك تحت إطار العمل الجماعي.

ومن الأمثلة على هذه الوسائل الاجتهاديّة التي دعا إليها أصحابُها ما يلي:

جعْلُ الخروج على الأنظمة والدول القائمة سبيلًا ووسيلةً ومطلَبا مهمًّا لتحقيق الدين ونصرة المسلمين، حتى قال قائلُهم: (ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يُحدثوا انقلابا عاما في أصول الحكم الحاضر الذي استبدّ به الطواغيت والنحرة)[٢].

وسيأتي هذا المسلك وخطورته، والردّ عليه في الوسائل والأساليب الشرعيّة في الفصل القادم.

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف جعلت هذه المسألةُ كثيرًا من الناس يخطئ الطريقَ، ويضلُّ فهمُه، وتزلُّ قدمُه، ويجني على الدعوة وأهلها جنايات لا حدَّ لها؛ والسببُ في ذلك ابتداع وسائل للدعوة حسب ما تقتضيه مصالح الدعوات المعاصرةالمنحرفة عن منهج سلف الأمّة ـ رضوان الله عليهم ..

❑ القول الثاني:

أن وسائل الدعوة توقيفيّة لا يُتجاوزُ فيها الكتاب والسنّة، ولا يحلّ لأحد أن يشرِّع فيها ما لم يأذن به الله تعالى.

يقول الشيخ العلاّمة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ:

«وأساليب الدعوة إلى الله لا شكّ أنها تُستمدُّ من الكتاب والسنّة؛ فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قام بالدعوة منذ أن بعثه الله إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد اتخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسلوبا متكاملًا في الدعوة، وقد استوعبها وفهمها وطبّقها هو ومَن حولَه من صحابتِه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر الفتوى في «حقيقة الدعوة» لسعد الحصينّ (ص ٧٢).

(٢) «تذكرة دعاة الإسلام» للمودودي (ص ٥).

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١] فهو قدوة الدعاة، والعاملين، والمجاهدين، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر»[٢].

فأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وخيرُ الكلام كلام الله، فهما كفيلان بكلِّ خير، وإبعاد كلِّ شر، ومن تجاوزهما لغيرهما فلا فلاح لدعوته ومسيرتها.

يقول الشيخ العلاّمة محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«ولا شكّ أنّ أحسن ما يُدعى به كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ؛ فإن كتاب الله ـ تعالى ـ هو أعظم واعظٍ للبشريّة»[٣].

وهذا أصلٌ عظيم في فهم هذه المسألة العظيمة، «وهو أن الله ابتعث محمدًا ﷺ وأمر جميع الأمّة بالإقتداء به في جميع التكاليف الشرعيّة، ومن جملتها: الدعوة إلى الله وسيلةً وغايةً... وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فإنه لا يحقّ أن نتجاوز في دعوتنا إلى الله الوسائلَ الشرعيّة والأساليبَ النبويّةَ التي صحّ نقلُها إلينا عن رسول الله ﷺ»[٤].

فالدعوة وأساليبها عبادةٌ لا بدّ من ضبطها بضوابط الشريعة المحكمة، وذلك على قاعدة السلف العظيمة في العبادات، أن يتحقّق فيها الإخلاص والمتابعة، فإذا كانت العبادة هي الغاية للدعوة؛ فينبغي أن تكون وسائلها «ضمن الأُطر الشرعيّة والمناهج النبويّة – لا غير ـ؛ ذلك أن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ هي دعوة فطريّةٌ سهلةٌ ميسورةٌ واضحة المعالم في الكتاب والسنّة، لا تحتاج إلى أمر خارج عن منهجها، منهاج النبوّة في صورةٍ أو حقيقةٍ في كلّ زمانٍ ومكان»[٥].

وإنّ ممّا يدعو للاستمساك بهذه الأصول والثوابت في مثل هذا الباب الدعوي: هو أن الله ـ جلّ وعلا ـ لم يترك شيئا إلّا بيّنه على لسان رسوله ﷺ، والذي وصفَه بقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

---

(١) الأحزاب، آية: ٢٢.

(٢) «المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ: صالح الفوزان» جمع: عادل الفريدان (ص ١٧٤ ١٧٥).

(٣) «الصحوة الإسلاميّة» للعلاّمة ابن عثيمين (ص ١٧٥).

(٤) «الأجوبة السديدة» للشيخ زيد المدخلي (ص ١٥ ١٦).

(٥) «الدعوة إلى الله» للشيخ علي حسن (ص ٤٢).

ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(١).

يوضحّ ذلك قولُ الرسول ﷺ: «وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء؛ ليلُها ونهارُها سواء»(٢).

وكذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ من قوله ﷺ: «ما بعث الله نبيا إلّا كان حقا عليه أن يدلَّ أمّته على خير ما يعلمهُ لهم، وينهاهم عن شرّ ما يعلمُه لهم»(٣).

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مقرّرًا ما تضمّنته هذه الأحاديث السابقة:

«ومعلومٌ أن ما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين لا بدّ أن يكون فيما بعث الله به رسولَه من الكتاب والسنّة؛ وإلاّ فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك لكان دينُ الله ناقصا، محتاجا تتمّةً»(٤)و كيف وقد قال الله جلّ وعلا في محكم التنزيل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾(٥)

وعلى هذا الأساس فإن الداعية مُطالبٌ أن يسلك من الوسائل أو الأساليب ما يتفق مع روح الشريعة الإسلامية ويتمشّى مع هدي الكتاب والسنّة بعيداً عن أيِّ أساليب أو وسائل تُخالف هذا النهجَ أو تبتعد عنه؛ ذلك (لأن توجيه الناس إلى غير الكتاب والسنّة فيما يتعلّق بالدعوة إلى الله أمرٌ منكر)(٦).

ولا يعدل عن الكتاب والسنّة والأساليب الشرعيّة إلا عاجزٌ، أو جاهل، أو صاحبُ غرض فاسد؛ فَلْيَنْأَ طالبُ العلم بنفسه وإخوانه من الوقوع في مثل هذه المزالق الضارّة به وبدعوته.

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧

(٢) أخرجه ابن ماجة في المقدّمة، /ج١/٥ ح٤. وصححه الألباني في الصحيحة، /٢/٣٠٢ح٦٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، / ج١٢ / ٢٢٢ ح١٨٤٤.

(٤) «المجموع» (١١/٦٢٣).

(٥) سورة المائدة آية ٣.

(٦) «الصحوة الإسلاميّة» للشيخ: ابن عثيمين (ص ١٧٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«فلا يعدل أحدٌ عن الطرق الشرعية إلى البدعيّة إلا لجهلٍ، أو عجز، أو غرض فاسد»[١].

فإذا تقرّر هذا فإننا نقطع بأن النبي ﷺ بيّن لأمّته وسائل الدعوة سواء بالقول أو بالفعل أو بهما معا؛ إذْ كيف يُبيّن ﷺ آداب قضاء الحاجة ونحو ذلك ويَدَعُ وسائل الدعوة التى لا قيام للإسلام إلَّا بها[٢].

فليس من طريق صحيح ولا سبيل قويم في إصلاح الأمّة إلَّا بهذه الوسائل الشرعيّة والطرق السلفيّة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٣].

❀ ❀ ❀

(١) «المجموع»: (١١٠/٦٢٥).
(٢) «الحجج القويّة» للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (ص ٤٨).
(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

الفصل الثاني

في الوسائل الشرعية للدعوة على ضوء الأسس السلفية، وبيان وجه المخالفة فيها

ويتكوّن من سبعة مباحث:

- المبحث الأول: وسيلة الحكمة، تقريرها، ومن تستخدم في حقه
- المبحث الثاني: وسيلة الموعظة، تقريرها، ومن تسخدم في حقه
- المبحث الثالث: وسيلة المجادلة، تقريرها،و من تسخدم في حقه
- المبحث الرابع: وسيلة الجهاد، تقريرها، ومن تسخدم في حقه
- المبحث الخامس: وسيلة التأليف، تقريرها، ومن تستخدم في حقه
- المبحث السادس: وسيلة الهجر، تقريرها، ومن تستخدم في حقه
- المبحث السابع: وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،، وضوابطها

المبحث الأول

أسلوب الحكمة
تقريره، ومن يُستخدم في حقه

● **المراد بها لغة واصطلاحا:**

تُطلق الحكمةُ ويراد بها العلم والفقه، ومنه قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(١).

والعرب تقول: (حكمت، وأحكمت، وحكّمت بمعنى منعت ورددت، ومنه قيل للحاكم بين الناس: حاكم)(٢).

وتُطلق ويُراد بها العدلُ، (ويقال: أحكم الأمر: أتقنَه، والحكيم: المتقن للأمور)(٣).

ولا خلافَ بين هذه المعاني؛ فكلُّها ترد مورداً واحدًا، وتدلُّ على ماهيّة واحدة؛ فإن العلم والفقه في الدين يمنع صاحبَه ويردّه عن مواقعة الأمور المخالفة للدين والمروءة؛ وكلا هذين الأمرين يدفعُ صاحبه لإتقان الأمر وإجادته؛ فلا تنافي بين هذه المعاني.

المعنى الاصطلاحي للحكمة، ومن تستخدم في حقه:

الأصل في هذا الموضوع: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٤)، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ﴾(٥).

وجاء في تفسير العلماء لهذه الكلمة قولهم: (يعني: المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وعن مجاهد ـ رحمه الله ـ أنه قال: يعني بالحكمة: الإصابة في القول، وعن ابن

---

(١) مريم، آية: ١٢.
(٢) «تهذيب اللغة» (جـ٤/١١٠ ـ ١١١).
(٣) «لسان العرب» (٢/٢٧١).
(٤) النحل آية ١٢٥.
(٥) البقرة، آية: ٢٦٩.

مسعود رضي الله عنه: أنها الكتاب والفهم، وقيل: الفهم، وقيل: السنّة، وقيل: العقل)[١].

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ:

«قوله: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ يعني: بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي تنزل عليك»[٢].

فعلى هذا تكون الحكمة المرادة من الموضوع هي كما قال الإمام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

«أما الحكمة في القرآن: فهي معرفة الحقّ وقولُه والعملُ به»[٣]، «فالقلوب التي لها فهم وقصد تُدعى بالحكمة»[٤].

وفي كلام شيخ الإسلام بيانٌ لمعنى الحكمة ومن تُستخدم في حقّه؛ فمن يحتاج إلى بيان الحق يُدعى بالمقدّمات الصادقة لما فيه من إدراك الحقِّ واتِّباعه.

وفي معنى الحكمة يقول الشيخ العلاّمة: عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:

«والمراد بها: الأدلّة المعتبرَة الواضحة الكاشفة الداحضة للباطل»، ويقول: «وهي المقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث»[٥].

فالحكمة بيانُ سبيلِ الحق للجاهل به حتى يثبت عليه، ويتمثّلُه منهجاً قولًا وفعلاً، يؤكد ذلك الشيخ العلامة صالح الفوزان حين قال في شأن المدعو:

«أن يكون جاهلًا بالحقّ ولو بُيِّنَ له لأخذ به فهذا يُدعى بالحكمة»[٦].

فالناظر في كلام أهل العلم في هذا الباب يرى أنّ الحكمة تنصبّ على المعرفة بالحق والدعوة إليه وبيان وتوضيح ما أمر الله به، ولا يكونُ ذلك إلَّا لمن هو جاهلٌ به، فيدعى بالمعرفة والحكمة، حتى يقبلَها من هو جاهلٌ بها.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/٧٠٠).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٥٦٩).
(٣) «المجموع»: (٢/٤٥).
(٤) «المجموع»: (١٩/١٦٤).
(٥) «فضل الدعوة»: (٢٢ ـ ٢٣).
(٦) «مجلة البحوث» عدد (٣١/ ١٥٩).

ويُبين ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ صاحبَ الحكمة ومن يستحقّ أن توجّه إليه، فيقول: «فهو القلب الذي قد سلم لربِّه، وسلَّم لأمره، ولم يبق فيه منازعةٌ لأمره ولا معارضة لخبره»[(١)].

● **وخُلاصة الأمر:**

(أن الحكمة تجمع أساليب الدعوة جلّها من وعظ، وجدلٍ، وقوة، وحجّة، وإبطال دعوى الخصم، واستدلال، وغير ذلك؛ لأنّ معناها الشامل اسمٌ لكل العلوم؛ ومِن هنا كانت صفةَ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ؛ لأنّهم استخدموا جميع الأساليب الدعوية التي أمرَهم الله باستخدامها.

فعلى ذلك تكون الحكمة هي: معرفة ما جاء عن النبي ﷺ من الكتاب والسنّة وما يتعلّق بهما من علوم شرعيّة؛ فتكون الدعوة بالحكمة بما ورد فيها من علوم، تغني الداعية المتبصّر عن أي شيء سواهما؛ لأنّ شريعة الإسلام لم تترك صغيرًا ولا كبيرًا إلا أوضحته كلّ الإيضاح)[(٢)].

وهناك معنى آخر للحكمة مرتبطٌ بالمعنى اللغوي: ألا وهو ما ذكره الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ حين قال: (فالحكمة إذًا فعلُ ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي)[(٣)].

وهذا الكلامُ من ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ هو عينُ الإتقان والإجادة الذي هو عينُ الحكمة، ومِن معانيها؛ إذ الحكمة تُطلق على إتقان الأمر وإجادته.

وتقتضي الحكمةُ أن يُراعي الداعيةُ المقامَ وأحوال الناس: (فيستعمل الأساليب المناسبة للحال والمقام؛ فليس الناسُ سواءً في الفهم والعلم، وليسوا سواء في لين الجانب وغِلظه، وليسوا سواءً في التواضع للحق والاستكبار عنه؛ فليستعمل مع كل شخص ما يناسبُه، ويكون أقرب إلى قبوله وانقياده؛ فإنّ هذا من الدعوة إلى الله بالحكمة)[(٤)].

---

(١) «مفتاح السعادة» (١/٢٠٠).
(٢) «منهج ابن القيّم في الدعوة» د/أحمد الخلف (ج٢/ص٣٠٠).
(٣) «المدارج»: (٢/٤٩٩).
(٤) «الصحوة الإسلاميّة» (ص ١٢٢).

فعلى الداعية: أن يعمل على إتقان أمره ودعوته بإعطاء كلِّ ذي حقّ حقَّه، وإعطاء كلّ أمر ما يُناسبُه؛ والأصلُ في تلك الطرق الحكيمة: كتابُ الله وسنّةُ رسوله ﷺ؛ فإن الذي غضب حين جاءه الرجل فقال له: إنني لأتأخّر عن صلاة الفجر من أجل فلانٍ مما يطيلُ بنا؛ فغضب غضبا لم يُعهد عليه من قبل، ثم قال: « يا أيها الناس إنّ منكم منفِّرين»[(١)]؛ فالذي وقف هذا الموقف هو بنفسه رسول الله ﷺ الذي قال عنه معاوية ابن الحكم السلمي عندما رماه الناسُ بأبصارهم وأنكروا عليه تشميته للعاطس في الصلاة، قال معاوية: (بأبي هو وأمّي ما رأيت معلِّما قبلَه ولا بعدَه أحسن تعليما منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)[(٢)].

ومن الخطأ فهم الحِكمة على غير مفهومها الصحيح، وذلك بتوسيع دائرتها حتى اعتُبرت شدةُ أهل السنة على أهل البدع منافية للحِكمة، فلا بد أن تُفهم الحكمة فهماً بعيداً عن الإفراط والتفريط، إذ التوازن في ذلك الأمر مطلوبٌ؛ فكما أنّ اللين مطلوبٌ فكذلك قد (لا يُغيَّر المنكر إلَّا بنوعٍ من الخشونة فلا بأس باستخدامه، ولو كان مع المُسلمين؛ ألا ترى أن الله أباح القتال لذلك، وليس فوق القتال خشونةً، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾[(٣)].

وقد يشتد المؤمن في إنكاره على أخيه أكثر منه مع عدوِّه، ألم تر كيف لاَن موسى ﷺ مع فرعون، واشتدّ على أخيه هارون ﷺ حتى كان منه ما قصه الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ﴾[(٤)][(٥)].

فانظر إلى هذه المواقف التي سبق ذكرُها عن بعض الأنبياء عليهم السلام، كيف تميّزت بين الشدّة واللين على حسب ما تقتضيه حكمة الداعية، فموقفٌ يلين فيه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، /٤/٢٤٤ ح٤٦٦.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، /٥/٢٨ ح٥٣٧.
(٣) سورة الحجرات، آية: ٩.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥.
(٥) كتاب «ست درر من أصول أهل الأثر» عبد المالك الرمضاني: (ص١٢٢).

الداعية حين يرى اللين مُفيداً للمدعو، وموقفٌ يدعوه للشدّة حين يرى ذلك مفيداً فالحكمة تدعو صاحبَها أن يكون وسطا في تعامله؛ فلا يغلو غلواً مُنفراً، ولايتهاون ويتساهل تساهلًا مفرطاً.

وهكذا سارت سيرة سلف الأمّة في هذا الباب، حيث جَروا على الوسطية والاعتدال في بيانهم وتحذيرهم؛ ففرقٌ عندهم بين الداعية للبدعة وغير الداعية لها، وفرق بين الجاهل والمُعاند، فكلٌّ هؤلاء يُعامَلون معاملةً تخصُّهم؛ وفرق عندهم بين من عُرف بالبدع وانتهاجها، وبين منْ أخطأ من أهل السنّة في ناحية معيّنة؛ فكلٌّ من هذين يُبين وجهُ الخطأ في قوله، ولكن لا تُحذّرُ الأمّةُ إلا من الأول، بعكس من عرف بجلالة قدرِه، وعلمه، وفضله، واتباعه للسنّة؛ فإنه يوقَف على خطئه؛ لأنّ الحق أحقُّ أن يتّبع، ولكن لا يعامَل معاملة الأوّل.

ولبيان التوازن عند علماء السلف ومن نحا نحوهم، إليك كلاماً لابن تيميّة ـ رحمه الله ـ فيه شدةٌ شرعيةٌ في مكانها، وفيه ليّنٌ في مكانه، فقال ـ رحمه الله ـ في حقِّ دعاة أهل البدع:

(وأما قتل الداعية إلى البدع: فقد يُقتل لكفِّ ضرره عن الناس، كما يُقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافرًا)[1].

فإذا قرأت هذا الكلام وما فيه من شدّة شرعيّة لها أسبابها ومسوّغاتها فاسمع كلامه الآخر في جانب اللين والاعتذار حيث يقول: (وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعةٌ ولم يعلموا أنها بدعة، إمّا لأحاديث ضعيفة ظنّوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوصٌ لم تبلغهم)[2].

فلينظر الداعيةُ إلى هذين النصّين عن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وما فيهما من اعتدالٍ، وإنصافٍ، وحكمةٍ، وإتقانٍ، للعمل والدعوة؛ فما خرجت هذه المواقف منه ـ رحمه الله ـ باطلًا وتناقُضا، بل عين الحكمة والاعتدال والوقوف مع السنن والآيات؛

---

(١) «الفتاوى»: (٣٥٠/٣٤٩/٢٣).

(٢) «الفتاوى»: (١٩١/١٩).

فما احتاجه طائفةٌ من المدعوّين قد لا يحتاجُه طائفةٌ آخرون؛ فلكلّ مقام مقال، قصداً لهداية النّاس للحقّ وتقريبِهم إليه. وعليه فإنه يجب على طالب العلم السلفي أن يدعو إلى الحق بالأساليب الشرعية بلا إفراط ولا تفريط ولا علوٍّ ولا إجحاف حتى تكون المصلحة متحققة في دعوته من نفع المدعوين وهدايتهم وإليك كلامًا عظيمًا لشيخ الإسلام في هذا الشأن حيث يقول ـ رحمه الله ـ [فقد يُذنب الرجل أو الطائفة ويسكتُ آخرون عن الأمر والنهي فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًّا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل التفرق والاختلاف والشر ..... ومن تدبَّر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك][1] ا.هـ

فإذا سلك الداعية مسلك سلفه الصالح في هذه الأبواب وغيرها نال خيرًا لنفسه أوّلاً، واستقام على صراط ربِّه، وكان حريا بقبول دعوته وهداية الناس إليه، وكان جديرًا بتبليغ دين ربِّه، وإقامة الحجّة على الناس، وبيان سبيل الخير لهم حتى يسلكوه، وسبيل الشرّ لهم حتى يجتنبوه.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/١٤٢ .

المبحث الثاني

أسلوب الموعظة
تقريره، ومن يُستخدم في حقه

● المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يُقال: العظة والموعظة، وكذلك الوعظ، والرجل يتّعظ: إذا قبِل الموعظة حين يُذكَّر الخير ونحوه مما يرقُّ لذلك قلبُه(١).

وهي النصح والتذكير بالعواقب، وتذكير الإنسان بما يُليِّنُ قلبَه من ثواب وعقاب(٢).

فظهر من التعريف اللغوي: أن المعنى الاصطلاحي للموعظة هو: أن الموعظة هي الإرشاد والنصح والتوجيه بما يرقّق القلبَ من التذكير بالعواقب وذكر الثواب والعقاب.

والتعريف الاصطلاحي له ارتباطٌ قويٌّ بالتعريف اللغوي، من حيث دلالة الأوّل على الثاني، كما هو واضحٌ في تعريف الوعظ.

❑ من يستخدم في حقه؟:

الأصل في هذا الموضوع: هو ما سبق ذكرُه من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(٣).

يقول الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الموعظة، قال:(هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب)(٤).

وذكر مثلَه الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في « تفسيره »(٥).

---

(١) «تهذيب اللغة»: (١٦٤/٣).
(٢) «لسان العرب»: (٣٤٥/١٥).
(٣) النحل، آية: ١٢٥ .
(٤) «التفسير القيِّم» (ص ٣٤٤).
(٥) «تيسير الكريم الرحمن »: (٢٥٤/٤).

والمتأمّل في هذه الآية يجد ترتيباً لطرق الدعوة تجاه المدعوّين، فمن المدعوّين من هو جاهل لا يعرف الحق؛ فهذا ـ كما سبق ـ يُدعى بالحكمة، وهي بيان الحق له من الكتاب والسنّة وتوضيحُه له.

وأما من كان عارفا بالحق واضحا له، ولكنه ترك العمل به لنوع غفلةٍ أصابته؛ فحقُّه العِظَة، والتذكير بالثواب والعقاب؛ حتى يلين قلبُه للعمل بالحق والاستمرارِ عليه.

يقول العلاّمة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: (فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض؛ دعوته بالموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب)[1].

والموعظة تكون بذكر الآيات والأحاديث، وضرب الأمثال الواردة في القرآن، وذكر الثواب والعقاب، وذكر عواقب الأمور مما يدعو صاحب الموعظة ويرقِّق قلبَه، وأن لا يغفل عن ذكر ربِّه.

ومَن تأمّل القرآن الكريم والسنّة النبويّة رآهما مملوءَين مِنْ الوعظ لتذكير القلوب الغافلة؛ ومِن ذلك ذكرُ قصص الأقوام السالفين، وذكر المواعظ المشاهدة عيانا؛ كالمخلوقات الكونية، والمشاهد الأرضيّة والسماوية.

وها هو الصدِّيق رضي الله عنه صاحب القلب الصدوق السليم أقسم أن لا يُنفق على مسطح بن أُثَاثه لسبب ما قالَه مسطح من أمر الإفك، ولمّا نزلت الآية العظيمة، وهي قولُه ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[2] بكى رضي الله عنه وقال: (بلى إني لأحبُّ أن يغفر الله ـ عزّ وجل ـ لي)[3].

فالموعظة لها أثرها في النفوس الآمنة المطمئنّة التي عرفت الحق وأذعنت للعمل به.

من هذا يظهر أن الموعظة تُوجّه لمن كان عارفا بالحق ولكن أصابه ما أصابه من أسباب عدم العمل كغفلةٍ ونحوها.

---

(١) «فضل الدعوة»: (٢٣).
(٢) النور آية ٢٢.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات /ج٥/٦٠٤ح٢٦٦١

ومن الخطأ أن تأخذ الموعظة أسلوبا وطريقا لم يكن معهودًا أيّام السلف الصالح؛ ومن ذلك: قيام طائفةٍ من الناس الذين لا يُعرفون بعلمٍ ولا فقه بولوج باب الموعظة والتخصُّص فيه؛ وذلك على حساب هدم معالم أخرى يجب أن تكون هي المسلوكة أولاً؛ فترى الواحدَ من هؤلاء يُعنى بفضائل الأعمال دعوةً وإرشادًا، ولكن لا على سنّة وتحقيق، بل على بدعة وتلفيق، فلابدّ أن يكون الواعظ على علمٍ بهدي الكتاب والسنّة، والفقه في الدين على نحو ما كان عليه الوعاظ من قبل؛ كما يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: (كان الوعّاظ في قديم الزمان علماء فقهاء)[1].

فتخصُّص طائفة من الناس بالسير على نهج القصّاص دون العلماء وطلاّب العلم، وقيامهم بامتهان هذه المهنة، وجعلِها عَلَما على أناسٍ معيّنين فهذا لم يكن معهودًا في عهد السلف الصالح، كما قال الطرطوشي ـ رحمه الله ـ:

(قال علماؤنا: لم يُقصّ في زمان النبي ﷺ ولا زمن أبي بكر، ولا زمن عمر)[2].

وهذا الأمرُ كافٍ في بطلان هذه الطريقة التي ينتهجها القُصّاص في وعظهم؛ فكيف إذا جُمع على ذلك كثيرٌ من الآفات الموجودة فيها، فإنه سيزيد بذلك بطلانُ الأمر وضوحا وجلاءً.

فهداية الناس وإرشادهم لا بد أن تكون على ضوء الكتاب والسنّة على فهم سلف الأمّة، ففيهما الكفاية والغُنية.

---

(١) «تلبيس إبليس»: (١٢٣).

(٢) «الحوادث والبدع»: (٢٢٨).

المبحث الثالث

أسلوب المجادلة
تقريره، ومن يُستخدم في حقه

● المعنى اللغوي:

يقال في الرجل: إنه لَجِدِلٌ: إذا كان شديدَ الخصام، وإنه لَمِجْدَلٌ[١].

والجدل: مقابلة الحجة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة؛ والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به لإظهار الحق؛ فإنّ ذلك ممدوح[٢].

● معنى الجدل اصطلاحا، ومن يُستخدم في حقه:

الجدل هو: مقابلةُ الحجة بالحجة، وكشف الشبه لدى المدعو؛ وهذا واضحٌ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤]؛ وهذا الكشف للشبه وبيان الأدّلة على اطّراحها والاحتجاج بالأدلّة المقنعة للخصم والمقرِّبة للحقِّ له هي مادّة الجدل، يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ:

(فإن كان المدعو يرى أنّ ما هو عليه حقٌّ أو كان داعيةً إلى الباطل فَيُجَادَلُ بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى للاستجابة عقلًا ونقلاً؛ ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلّة التي يعتقدها، فإنه أقربُ إلى حصول المقصود)[٥].

فيقف الداعيةُ مع هذا الصنف من الناس موقف المجادل والمُقنع على حسب ما يرى من شبهةٍ عارضةٍ للمدعو.

يقول الشيخ العلاّمة ابن باز ـ رحمه الله ـ:

---

(١) «تهذيب اللغة»: (٦٤٩/٦).
(٢) «لسان العرب»: (٢١٢/٢).
(٣) النحل، آية: ١٢٥.
(٤) العنكبوت، آية: ٤٦.
(٥) «تيسير الكريم الرحمن »: (٢٥٥/٤).

(فإن كان عنده شبهةٌ جادلته بالتي هي أحسن ولا تغلّظ عليه، بل تصبر، ولا تعجل ولا تعنّف، بل تجتهد في كشف الشبهة وإيضاح الأدلّة بالأسلوب الحسن)[١].

فمن حكمة الداعية وبصيرته: أنه يقف أمام المدعو وهو عارفٌ بنوعيّة المدعو الذي يقف أمامَه، من أيِّ صنفٍ هو؟؛ فإن كان من أصحاب الحكمة والعلم والمعرفة أعطاه منها ما يكونُ رافعا لجهلِه، وإن كان عارفا ولكنه ترك العمل لنوع غفلةٍ فيه وعظه وذكّره، وإن كان صاحب شبهة عارضة منعته من العمل أو الاقتناع فليستخدم معه أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، موضّحا له مواقع الحقّ ومعائب الباطل.

وممّا ينبغي أن يُعرف في هذا الباب: أنه قد ترد شبهة عليه، وهي ورود النهي عن الجدل في كثيرٍ من الآيات والأحاديث حتى ما إذا جاء صاحبُ الحقّ ليبيّنه للناس عارضه المبطِلون بدعوى المجادلة؛ وهي كلمة حقّ أُريد بها باطل، ولكي تقف على بطلان هذه الشُّبهة؛ إليك كلاما لابن القيِّم ـ رحمه الله ـ عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾[٢]، يقول فيه:

(وليس المرادُ نفي الاحتجاج من الطرفين كما يظنُّه بعض من لا يدري ما يقول وأن الدين لا احتجاجَ فيه، كيف والقرآن من أوَّله إلى آخره حجج وبراهين على أهل الباطل قطعيّة يقينيّة، وأجوبة لمعارضتهم وإفسادٌ لأقوالهم بأنواع الحجج والبراهين؛ وهل تكون المجادلة إلَّا بالاحتجاج وإفساد حجج الخصم)[٣]. يقول الامام ابن بطّة ـ رحمه الله ـ في هذا الشأن: (فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام تصحيح النيَّة بالنصيحة واستعمال الإنصاف والعدل ومراد الحق الذي قامت به السموات والأرض)[٤]

فهذا الكلامُ العظيم المتين فيه بيانٌ جليٌّ لمشروعيّة الجدل الحق الذي يُقصد من ورائه إظهار الحق ودعوة الناس إليه وإفحام المبطلين الساعين لردّه وقطع طريقه الموصل إلى

---

(١) «فضل الدعوة» (ص ٢٣).
(٢) الشورى، آية: ١٥.
(٣) «مفتاح دار السعادة)لابن القيّم : (٢/٢٤١ - ٢٤٢).
(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، للإمام ابن بطّة العكبري ٢/٥٤٦.

الجنّة؛ إذ القرآن كلُّه مجادلةٌ لأهل الباطل وإقامةٌ للحجج والبراهين النيّرة في إقناع الناس؛ وما ورد من أحاديث وآيات في النهي عن الجدل محمولٌ على الجدل بالباطل والضلال، أو على ما كان المقصود من ورائه ردّ الحق؛ فهذا النوع من الجدل ـ وهو الجدل لردّ الحق ـ مذموم مردود، وكذلك الجدل الذي يخرج مخرج المغالبة لا مخرج النصح والإفادة.

المبحث الرابع

الجهاد
تقريره، ومن يُستخدم في حقه

● **المعنى اللغوي والاصطلاحي:**

(يُطلق الجهاد في اللغة على الجهد والطاقة والمنعة والوُسع، ويُطلق على بلوغ الغاية في الأمر، وعلى المبالغة في استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل)[١].

❑ **وأما معناه اصطلاحا:**

فله ارتباط قوي بالمعنى اللغوي حيث يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

(بذل الجهد في قتال الكفّار، ويطلق ـ أيضا ـ على مجاهدة النفس والشيطان)[٢].

(والجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرّب به المتقرّبون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لِمَا يترتّب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين وقمع الكافرين والمنافقين)[٣].

وقد سمّاه الله ـ تعالى ـ تجارةً رابحة، وسببا لنجاة العبد في الدنيا والآخرة، حيث يقول ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾[٤].

وجاء في الحديث قولُه ﷺ: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٥].

---

(١) انظر: «لسان العرب»: (٢/٣٩٦ - ٣٩٧).
(٢) «فتح الباري»: (٦/٧٧).
(٣) «مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة»: (٢/٤٣٠).
(٤) الصف، الآيتان: ١٠ ١١.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، ح٢٧٩٢ /٦/٩٠.

وقوله ﷺ: «ما اغبرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسَّه النار»(١).

وقولُه ﷺ: «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(٢).

فهذه الأحاديث وغيرها تدلّ على فضل الجهاد في سبيل الله، وما جعل الله فيه من الأجور العظيمة، والتجارة الرابحة؛ ولن يكون ذلك حتى يكون جهاد المرء في سبيل الله لا في سُبل أخرى؛ كما في الحديث الصحيح الصريح: «لتكون كلمة الله هي العليا»؛ فهذا شرطٌ أساسيّ في صحّة الجهاد وكونه عبادةً يُتقرَّبُ بها إلى الله ـ عزّ وجل ـ.

يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

(والحاصل مما ذكر: أن القتال منشؤه القوّة العقليّة والقوّة الغضبية والقوّة الشهوانية، ولا يكون في سبيل الله إلَّا الأوّل)(٣).

- **أطوارُه:**

والجهاد مرّ على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الإذن للمسلمين في القتال من غير أن يُلزموا بذلك؛ وذلك لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾(٤).

والمرحلة الثانية: قتال مَن قاتل من الكفّار، والكفّ عمن كفّ منهم، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾(٥).

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال المشركين مطلَقا حتى يكون الدينُ لله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾(٦)

ورجّح الشيخ العلاّمة ابن باز ـ رحمه الله ـ: أن المرحلة الثالثة ليست منسوخة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، ح٢٨١١ /٦/ ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، ح٢٨١٠ /٦/ ١٠٨.

(٣) «الفتح»: (٦/٧٧).

(٤) الحج، آية: ٣٩.

(٥) البقرة، آية: ١٩٠.

(٦) سورة التوبة آية ٣٦ .

ولكنها تبقى على حسب حال المسلمين(١).

ولا يقتصر الجهاد على جهاد الأفعال بل له صورٌ عديدة تُساند الجهاد الفعلي، ومن ذلك الجهاد بالحجة والبرهان، يقول ابن القيِّم - رحمه الله - في بيان ذلك:(فإن الله ـ سبحانه ـ أقامَ دين الإسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان؛ فكلاهما في نصرة الدين أخوان شقيقان، وكلاهما شجيعٌ لا يتمّ إلا بشجاعة القلب وثبات الجنان)(٢).

ويقول ـ رحمه الله ـ: (فالفروسية فروسيتان: فروسية العلم والبيان، وفروسية الرمي والطعن؛ ولمّا كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الخلْق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان)(٣).

فبيان الحق للناس ودعوتهم إليه والردّ على أهل البدع الملبّسين على الناس كله من أنواع الجهاد المشروع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

(الرادّ على أهل البدع مجاهد)(٤).

ويقول ـ رحمه الله ـ: (وإذا كان مبتدعا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو سلك طريقا يخالف الكتاب والسنة ويُخاف أن يُضلّ الرجلُ الناس بذلك يُبيّن أمرُه للناس ليتّقوا ضلالَه ويعلموا حالَه)(٥).

فتقويم أهل البدع والضلال بالحجّة والبرهان، وبيان وجه الحقِّ للناس، وتبصيرهم بخطر عقائد أهل البدع، أمرٌ واجبٌ (إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ على الكفاية باتّفاق المسلمين؛ ولولا من يقيمُه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فسادُه أعظمَ من فساد استيلاء العدوّ من أهل الحرب؛ فإنّ هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تَبَعا، وأما

---

(١) «فضل الجهاد والمجاهدين»: (٢/٤٤٠).
(٢) «الفروسيّة» لابن القيم (ص ٢).
(٣) «الفروسية» لابن القيم (ص ١٩).
(٤) «الفتاوى»: (١٣/٤).
(٥) «المجموع»: (٢٢١/٢٨).

أولئك فهم يُفسدون القلوب تبعا) [١].

فإذا عُرف هذا فليُعلم أن كثيرًا من الطوائف المخالفة للسنة قد حوّلت معنى الجهاد الشرعي إلى طرق وأساليب على حسب ما تدينُ به هذه الطوائف من بدع ومخالفات.

وأوّلُ فرقةٍ حوّلت معنى الجهاد الشرعي إلى طرق مبتدعة وأساليب مخالفة هي فرقة الخوارج؛ التي عظم في السنة تحذير النبي ﷺ من فتنتهم وسوء أفكارهم وما فيها من فساد على البلاد والعباد؛ حيث أقدموا على تكفير المسلمين أو تكفير حكّامهم، ثم ادّعوا مجاهدتهم بحجّة أنهم كفّار أو منافقون.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن الخوارج:

(فإنه[٢] أوّل بدعةٍ ظهرت في الإسلام، فكفّر أهلُها المسلمين، واستحلّوا دماءهم وأموالهم؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمّهم والأمر بقتالهم)[٣].

وكثيرٌ من هؤلاء وجّهوا سهامهم نحو بلاد المسلمين حربا وتخريبا، بلبلة وفوضى؛ وهذا عينُ ما ذكره النبي ﷺ عنهم.

ويقول أيضاً: (ومن أعظم ما ذمّ به النبي ﷺ الخوارج قولُه فيهم: «يقتلون أهلَ الإسلام ويدعون أهل الأوثان»... فهؤلاء الخوارج المارقون من أعظم ما ذمّهم النبي ﷺ أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[٤].

يقول البخاري ـ رحمه الله ـ فيهم:

(وكان ابن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفّار فجعلوها في المؤمنين)[٥].

وما وقع هؤلاء فيما وقعوا فيه إلا لسوء فهمهم الدين والقرآن؛ فقد نظروا إلى

---

(١) «الفتاوى»: (٢٨/٢٣٢).
(٢) يعني بذلك مسألة تكفير المسلمين بالكبيرة .
(٣) «الفتاوى»: (١٣/٣١).
(٤) «الفتاوى»: (٢٨/٥٢٨).
(٥) «صحيح البخاري»: في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (ج١٤/ص٢٨٢).

الكتاب والسنة نظرتهم المنحرفة، فحرّفوا وأوَّلوا، وزادوا وابتدعوا في الدين ما ليس منه، كما قال ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

(وكانت البدع الأولى مثل «بدع الخوارج» إنما هي من سوء فهمهم للقرآن)[1].

وممّا يؤكِّد انحراف نهجهم في الجهاد أن الرسول ﷺ لم يسلم من شرّهم بخروجهم وثورتهم، فقد كان من أمر هؤلاء، أن رسول الله ﷺ كان يقسم الغنائم فقام رجل فقال له: (اتق الله يا محمد)، وفي رواية: (اعدل يا محمد)؛ فقال النبي ﷺ: «فمن يطع الله إن عصيتُه؟»؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن من ضئضيء هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهلَ الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد»[2].

وقد ابتليت الأمة الإسلاميّة بمن يحمل مثل هذه الأفكار قديما وحديثا، بل ويسلكون لنشرها في الأمّة شتّى الأساليب والطرق باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة، وباسم الجهاد تارة، وهكذا مما هو لباس حق لجوهرٍ باطل.

وكلُّ من قامت فيه تلك المعاني الموجودة في الخوارج الأول أُلحق بهم، كما قال ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

(فكلُّ من وُجِدت فيه تلك المعاني أُلحق بهم؛ لأنَّ التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم، بل لحاجة المخاطبين إذْ ذاك إلى تعيينهم)[3].

ومن الطرق التي يبدأ بها هؤلاء في إفسادهم: طريقُ التهييج والإثارة والشغب على وليّ أمر المسلمين باسم الجهاد؛ وعلى حسب تسميتهم لها (تكوين القاعدة الشعبية)، والتي من خلالها ينطلقون.

وهي بلا شك طريقٌ قوليٌّ يُلحق بالطريق الفعلي سواء بسواء، بل هو بدايةٌ للطريق الفعلي؛ فلا فعل إلَّا بعد قول وعزيمة.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مبيِّنا هذا المعنى:

---

(١) «الفتاوى»: (١٣/٣٠).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: (٧/٢٢٧، ح١٠٦٤).
(٣) «الفتاوى»: (٢٨/٤٧٦).

(وذلك الشجار بالألسنة والأيدي أصلٌ لما جرى بين الأمّة بعد ذلك في الدين والدنيا؛ فليعتبر العاقل بذلك)[١].

ويقول الشيخ العلاّمة الفوزان ـ حفظه الله ـ:

(شحن الغلّ والحقد على ولاة الأمور في قلوب العامّة هو من عمل المفسدين، الذين يريدون إشاعة الفوضى، وتفكيك المجتمع الإسلامي)[٢].

فعلى المسلم الحق أن يكون فاهما دينَه فهما صحيحا على أسس المنهج السلفي، حتى يسلم من جميع هذه التصرفّات والأفكار الكثيرة المنافية لمنهج سلف الأمّة؛ فمن عرف الحق وبان له سبيلُه عرف من خلال ذلك طريق الشرّ، وبانت له طرُقُه.

(١) «الفتاوى»: (٣٥/٥١).
(٢) «الأجوبة المفيدة»: (ص ١٣٢).

المبحث الخامس

أسلوب التأليف
تقريره، ومن يُستخدم في حقه

قد يحتاج الداعية حين سلوك دعوته أن يتألّف أُناسا لقبول دعوته، والعمل بما يأمُر به، وترك ما ينهى عنه؛ فيحتاج إلى تقريب أمرِه إلى قلوبهم، واستمالتها نحو اتباع الحق؛ وقد يحتاج إلى دفع شرّ يوشك حصولُه، وذلك لمصلحة الدين لا اتباعا للنفس والهوى.

وقد سلك النبيُّ ﷺ هذا الأسلوبَ رجاءَ قَبول الحق واتّباعِه: فلمّا قسم النبي ﷺ أموالَ هوازن قال رجالٌ من الأنصار: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفُنا تقطُر من دمائهم. فقال رسول الله ﷺ: «فإنني أُعطي رجالًا حديثي عهدٍ بكفرٍ أتألَّفُهُم؛ ألا ترضون أن يذهب الناسُ بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟؛ فو الله لَمَا تنقلبون به خيرٌ ممّا ينقلبون به»(١). وكان يقول ﷺ: «والله لو سلك الناسُ واديا، وسلك الأنصارُ شِعبا لسلكتُ شِعْبَ الأنصار»(٢).

وكان يقول ﷺ: «الأنصارُ شِعار، والناسُ دِثار(٣)؛ ولولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار»(٤).

وفي حديث سعد ابن أبي وقّاص ـ رضي الله عنه ـ ما يدلُّ على هذا الأسلوب النبوي الحكيم: حيث أعطى رهْطا وسعدٌ جالسٌ، فترك رسولُ الله ﷺ رجلاً، قال عنه سعد: هو أعجبُهم إليَّ. فأعاد سعدٌ على النبي ﷺ أمرَ هذا الرجل، حتى قال ﷺ: «يا سعدُ، إني لأعطي الرجلَ وغيرُهُ أحبّ إليّ منه خشيةَ أن يكبَّه الله في النار»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة الزكاة، ح١٠٥٩/ج٧/٢١٢.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، ح١٠٥٩/ج٧/٢١٤.
(٣) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد. والدثار: الثوب الذي فوقه. أي: أنتم الخاصة والعامة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٢/٤٨٠.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، ح ١٠٦١/ج٧/٢٢٠.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، ح١٠٥٨/ج٧/٢٠٨.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

(ومحصّل القصّة: أنّ النبي ﷺ كان يوسِّع العطاء لمن أظهر الإسلامَ تألُّفا)[١].

وقد بوّب البخاريُّ ـ رحمه الله ـ بابا في «صحيحه» على الأسلوب النبوي الكريم، حيث قال: (باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألّفهم)، وأوردَ تحتَه: أن طُفيل بن عمرو الدوسي قدِم هو وأصحابُه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله: إن دوسا عصت وأبت فادعُ الله عليها. فقيل: هلكت دوسٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهم اهدِ دوسا وائتِ بهم»[٢].

وكان النبيُّ ﷺ من هذا البابِ يقول: «الأنصار ومزينة وجهينة وغِفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله مواليَّ دون الناس، والله ورسوله مولاهم»[٣].

وكان يقول ﷺ: «أسلمُ سالمَها الله، وغفار غفر الله لها»[٤]،

وإذا قال قائلٌ يُشكلُ على ما أوردته من تأليف النبي ﷺ بالدعاء لهم ماصحَّ عنه أنّه قنت شهراً يدعو على أحياء من العرب [٥] فالجواب ـ والله أعلم ـ أنه دعا لمن يُرجى إسلامهُ منهم وحيث ينفع الدعاء، ودعا على الآخرين حيث لا ينفع فيهم الدعاء.

وساق شيخ الاسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ بعض الأحوال المتّصلة بالعبادات والتي تُراعى في باب تأليف القلوب حيث يقول في الصلاة النافلة ـ:

(وإن كان الرجل مع قومٍ يصلّونها [أي: الصلاة قبل الجمعة] فإن كان مطاعا إذا تركها ـ وبيّن لهم السنة ـ لم ينكروا عليه، بل عرفوا السنة فترْكُها حَسَنٌ، وإن لم يكن مطاعا ورأى أن في صلاتها تأليفا لقلوبهم إلى ما هو أنفعُ، أو دفعا للخصام والشرّ لعدم التمكن من بيان الحقّ لهم، وقبولهم له؛ ونحو ذلك؛ فهذا أيضا حسن)[٦].

---

(١) «الفتح»: (١/١١٣).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، ح٢٥٢٤ج/١٦/ ١١٥.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، ح ٢٥١٩ج/١٦/١١٠.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، ح٢٥١٥ج/١٦/١٠٧.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، ح ٢٥١٧/١٦/١٠٨
(٦) «الفتاوى»: (٢٤/١٩٤).

ويقول ـ رحمه الله ـ: (ولذلك استحبّ الأئمّة أحمد وغيره أن يدعَ الإمامُ ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين)[١].

ويقول: (وكذلك لو كان ممّن يرى المخافتة بالبسملة أفضل أو الجهر بها، وكان المأمومون على خلاف رأيِه ففعل المفضول عندَه لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان جائزًا حسنا)[٢].

ومن خلال ما سبق ذكره من الأحاديث العظيمة، وكلامِ أهل العلم في هذا الأسلوب النبوي يتضح ضرورة التزام الداعية بهذا المسلك النبوي، وأن يكون على علمٍ بهذه الناحية والطريقة الحكيمة التي بها يصلُ إلى هدفِه؛ وذلك من خلال العطاء المالي عند الاستطاعة والقُدرة، أو بالكلمة الطيّبة والمدح والثناء بما هو خير، أو بترك الفاضل والعدول إلى المفضول إذا كان في هذا مصلحةٌ راجحة على ذلك الفاضل.

ولا يعني هذا أن يُوسَّع في باب التأليف حتى يرتكب المؤلِّف أمرًا محرّما؛ فإنّ هذا تأليف مذموم، ليس عليه دليلٌ ولا سلطان من كتاب الله ـ عزّ وجل ـ وسنّة رسول الله ﷺ؛ بل قامت الأدلّة الشرعية على إلقائه وعدم اعتباره؛ فلا يجوز أن يُرتكب ما حرّم الله ـ عزّ وجل، أو أن يُسكت عنه وعن بيانِه للمسلمين بحجّة تأليف القلوب واستمالتها؛ فبيانُ الحقّ شيء والحكمة في الدعوة والأسلوب الحسن فيها شيءٌ آخر؛ وهذا هو الواجب في حقّ الداعية.

وأما السكوتُ عن الباطل بحجّة التأليف فلا يجوز ذلك أبدًا؛ والأدهى من ذلك والأمرّ: أن يصل هذا إلى أصول الدين ومسائل العقيدة، بحيث يُسكت عنها بحجّة التأليف والتجميع؛ وهذا ـ والله ـ منهجٌ سقيم، مخالفٌ للمنهج السلفي المستقيم.

يقول الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في معرض كلامه عن التأليف والتجميع الفاسد وفساده على الأمّة: (كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلم والكافر وبين السنّي والبدعي وهو ما يسمّى في التركيب المولّد باسم "الحاجز النفسي"، فيكسرُ تحت شعاراتٍ مضلّلة مثل: "التسامح" و"تأليف القلوب" و"نبذ الشذوذ والتطرُّف والتعصُّب" و"الإنسانية" ونحوها من الألفاظ ذات البريق، والتي حقيقتُها مؤامراتٌ

(١) «الفتاوى»: (٢٤/١٩٥).
(٢) «الفتاوى»: (٢٤/١٩٥ ١٩٦).

تخريبيّة تجمع لغاية القضاء على المسلم المتميّز وعلى الإسلام)[١].

فالائتلاف الحقّ وتأليف القلوب لن يكون مؤدّيا المقصود منه حتى يكون على سبيل واحد، وليس على سبُل متفرّقة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾[٢]

فينبغي أن يُفهم معنى التأليف الشرعي الذي أمر به رسول الله ﷺ، وبيّنه العلماء حتى لا يقع المسلم في مفاسد التأليف البدعي المُخالف لنهج السلف الصالح.

❀ ❀ ❀

(١) «هجر المبتدع» (ص ٧).
(٢) البقرة، آية: ٢١٣.

المبحث السادس

أسلوب الهجر
تقريره، من يُستخدم في حقه

● **المقصود بهذه الوسيلة هو:**

تركُ أهل المعاصي والبدع، وترك مخالطتهم ومجالستهم، ردعاً لهم وحتى لا ينفذوا إلى الناس بنشر أباطيلِهم وزيفهم؛ والأصل في تلك الوسيلة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[2].

يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ:

(في هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة الذين يحرّفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنّة رسوله ﷺ، ويردّون ذلك إلى أهوائهم وبدعهم الفاسدة؛ فإنه إذا لم يُنكر عليهم، ويغيّر ما هم عليه فأقلّ الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسيرٌ غيرُ عسير)[3].

فالهجر مشروعٌ للزجر والتأديب وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ:

(ومن كان مبتدعا ظاهر البدعة وجب الإنكارُ عليه، ومن الإنكار المشروع، أن يُهجر حتى يتوب، ومن الهجر: امتناعُ أهل الدين من الصلاة عليه لينزجر من يتشبّه بطريقته ويدعو إليها)[4].

---

(١) الأنعام، آية: ٦٨.
(٢) النساء، آية: ١٤٠.
(٣) «فتح القدير»: (١٢٢/٢).
(٤) «الفتاوى»: (٢٩٢/٢٤).

وهذا الهجر أسلوبٌ نبويّ يُقصد منه ردع المخالف وأتباعه، حتى لا يغترَّ به أحدٌ من الناس؛ فهو مشروعٌ لمصلحة الدين؛ يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

(ولا ينبغي لأحدٍ من أهل السنّة والجماعة أن يخالطَ أحدًا من أهل الأهواء حتى يُصاحبَه ويكون خاصته؛ مخافة أن يستزله، أويستزلَّ غيره بصحبة هذا)[١].

وهذا الأسلوب النبوي جاء لحماية الفرد والمجتمع من كلّ ما يضرّ به في دنياه وآخرته، (وسدٌّ كل طريق يؤدِّي بأتباعِه إلى الشرّ أو يوقعهم في حبائل الشيطان، حرصا على تحصين المسلمين وحفظ دينهم من التغيير والتحريف والتبديل؛ فلا يؤمن أن تنتقل العدوى وتسري بين أفراد المجتمع المسلم إذا تساهلوا في مخالطة ومعاشرة أهل الزيغ والضلال)[٢].

ويدلّ لذلك: قولُه ﷺ حينما قال: «مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يُحذيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجدَ ريحا طيّبةً؛ ونافخُ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثَة»[٣].

يقول البغويُّ ـ رحمه الله ـ مؤكّدًا هذا الأسلوب:

(وقد أخبر النبيُّ ﷺ عن افتراق هذه الأمّة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتّبع سنّته وسنّة أصحابِه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ؛ فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلًا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدًا أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجرَه ويتبرأ منه؛ وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنّة على هذا مجمِعين معتقدين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم)[٤].

وممّا يدلّ على هذا الأسلوب قصة كعب بن مالك المشهورة مع أصحابِه حينما تخلّفوا عن غزوة تبوك، فهجر النبيُّ ﷺ كعبا وصاحبيه؛ وفي الحديث قولُه: (ونهى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَن تخلّف؛ فاجتنَبَنا الناسُ

---

(١) «الفتاوى»: (١٦/٤٧٥).
(٢) «تنبيه أولي الأبصار» للشيخ: صالح السحيمي (ص ٧٣).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب البر، ح٢٦٢٨/ج/١٦/٢٧٣.
(٤) «شرح السنّة» للبغوي (١/٢٢٤).

وتغيَّروا لنا، حتى تنكّرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف،فلبثنا على ذلك خمسين ليلة)[١].

وقد اتخذ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هذا أسلوبا في دعوتهم وردعهم لأهل الباطل: يقول ابن عبّاس رضي الله عنه: (لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستَهم ممرضة للقلب)[٢].

وها هو عبد الله بن مغفَّل رضي الله عنه يأمر قريبا له بعدم الخذف[٣] ويخبره بسنّة رسول الله ﷺ فلم ينتهِ عن ذلك، فقال له: (أحدّثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف؟، لا أكلّمك أبدًا)[٤].

ومما تقدّم يتبيَّنُ أنّ أسلوب الهجر قد انتهجَه الصحابة والتابعون مقتدين بذلك بسيّد الأنبياء ﷺ؛ بل أصبح هذا الأسلوب مؤصّلًا في كتب أهل السنة، لا يخلو كتابٌ من كتب أهل السنة إلَّا وفيه تأصيلٌ وتقعيدٌ لهذا الأسلوب بذكر الأمثلة عليه، وتقريره عن سلف الأمّة.

وممّا ينبغي أن يُعرف في هذا الباب هو: أن هذا الأسلوب مقرونٌ بضوابط شرعية، ومقاصد مرعيّة، لا بدّ من مراعاتها حين يريدُ الداعية استخدام هذا الأسلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ:

(وهذا الهجر يختلف باختلاف الآمرين في قوّتهم وضعفهم وقلّتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبُه، ورجوع الناس عن مثلِ حالِه؛ فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يُفضي هجرُه إلى ضعف الشرِّ كان مشروعا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكونُ مفسدةُ ذلك راجحةً على مصلحته لم يُشرع الهجر)[٥].

---

(١) رواه مسلم في كتاب التوبة، ح ٢٧٦٩/ج/١٧/١٤٢.
(٢) «الشريعة» للآجرّي: (١/٤٥٢).
(٣) الخَذَف هو: رميك حصاةً أو نواةً تأخذها بين سبابتيك وترمي بها. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ١٦/٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح، ح ٥٤٧٦/ج١١/٢٩.
(٥) «الفتاوى»: (٢٢٦/٢٨).

وكلامه هنا ـ رحمه الله ـ دقيقٌ غاية الدقّة، واضحٌ غاية الوضوح في أن الهجرَ يكون مشروعا إذا كان مؤدّيا المقصود منه، ولا يؤدِّي المقصود منه إذا كان الهاجر ضعيفا لا أثر له ولا كلمة، أو يكون الهاجرون قلّة لا حول ولا قوّة لهم فعلى الداعية أن يكون على إلمامٍ بهذه الناحية المهمّة في أسلوب الهجر؛ فالأمر منوطٌ بتحقيق المقصود منه والمصلحة في ذلك؛ فمتى لم يفد هذا الأسلوب فلينتقل الداعية إلى أسلوب آخر في الدعوة.

وكذلك الحال إذا كان المدعوّ يمكن أن يُبيَّنَ له الحقّ ويقتنع به، ولم يُعرف عنه دعوةٌ إلى بدعته ونشرٌ لها؛ ففرقٌ بين الداعية إلى بدعته وغير الداعية؛ فقد لا يكون الهجر مناسبا لمن لا يدعو إلى بدعته لكونه قد ينتفعُ بالحق بطرق وأساليب آخرى.

يقول ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

(فأمّا من كان مُستتراً بمعصية أومُسراً لبدعة غير مكفِّرة فإن هذا لا يُهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوعٌ من العقوبة)[1].

وهذا الكلام المتين العظيم في حكم الهجر لا يشمل عوامّ الناس وصغار طلبة العلم؛ ممن لاينفع هجرهُم ولا يؤدي إلى المقصود منه ولا أثر له في المهجور وفي نفس الوقت تضرّهم مجالسة أهل البدع بالتدليس والتضليل فحق هؤلاء البعد عن أهل البدع والشر حتى لا يختلط عليهم أمر دينِهم - كما سبق بيانُه ـ، وإنما الذي يستخدم أسلوب الهجر هم أهل العلم والدين؛ الذين متى ما إذا رأى أحدُهم المصلحةَ في عدم الهجر فإنه حينئذٍ يكونُ داعيةً لا مدعوًّا، مؤثِّرًا لا مؤثَّرًا عليه.

فعلى الداعية المسلم أن يكون عارفا لهذه الضوابط الحكيمة في هذا الباب بلا إفراط ولا تفريط، بلا غلوّ ولا إجحاف على وفق هَدْيِ النبي ﷺ.

---

(١) «الفتاوى»: ٢٤/ ١٧٥.

المبحث السابع

أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلةٌ عظيمة أمر الله ـ جلّ وعلا ـ بها، وجعلها وصفا للأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وعلامة على عباده المؤمنين، ودليلًا على خيريّتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة؛ حيثُ يقول ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[1]، وقال ـ تعالى ـ في وصف نبيِّه ﷺ: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[2]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[3].

فإذا كان هذا أمرها فيجب على كلِّ مسلم ـ خاصّة الدعاة منهم ـ أن تكون تلك الوسيلةُ طريقا لهم لتحقيق عبادة الله في الأرض تنبيها للغافلين، وذكرى للمُتعظين، وردعا للمعتدين، ومعذرة إلى رب العالمين، ولتحقيق الأمن والأمان في أراضي المسلمين، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: (وتحقيق ذلك: أن الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها)[4].

ويقول: (بل ذلك مقرونٌ بتبليغ الرسالة؛ فإنه أوّل ما أُرسل أُنزلت عليه سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾[5]) [6].

---

(١) النحل، آية: ٩.
(٢) الأعراف: ١٥٧.
(٣) آل عمران: ١١٠.
(٤) «الفتاوى»: (١٣٤/٢٨).
(٥) سورة المدّثر، آية: ١.
(٦) «الفتاوى»: (١٣٦/٢٨).

وهذه الشعيرة العظيمة قد جاء الذمّ العظيم والوعيد الشديد جزاءً لمن تركها ولم يقم بحقِّها، فقال ـ عزّ وجل ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

● **ولهذه الوسيلة معالم، مَن سارَ عليها كان سائرًا على هدى ونور، ومن لم يسر عليها كان إفسادُه أكثر من إصلاحِه:**

منها: الصبر والاحتساب؛ فلا بدّ أن يكونَ صاحبُها صابرًا على ما يلاقيه من الأذى في سبيل الأمر بالمعروف، لا يجزع ولا يغضب غضبا يُخرجه إلى طورٍ غير شرعي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن الأمر بالمعروف، وما ينبغي أن يتوفّر فيمن يقوم به:

(ولا بدّ أيضا أن يكون حليما صبورًا على الأذى؛ فإنه لا بدّ أن يحصل له الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يُفسد أكثرَ ممّا يُصلح)[2].

ومنها: العلمُ بالمعروف والمنكر، حتى لا يُنكرَ شيئا معروفا يظنُّه منكرًا والعكس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: (فلا بدّ من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بدّ من العلم بحال المأمور والمنهي... وهو أقرب الطرق إلى المقصود)[3].

ومنها: تقديرُ المصالح والمفاسد في هذا الباب، والترجيح بينهما عند التعارُض؛ فدرء المفاسد أولى من جلب المصالح، وذلك أن تغيير المنكر إذا كان يجلبُ شراً وفتنةً أعظم من فتنة المنكر نفسه فإن المصلحة الشرعية تقتضي تركه لتحصيل المصلحة ودرء المفسدة، نجد هذا منهجاً واضحاً عند أهل العلم أتباع سلف الأمّة حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ:

(ولهذا لا يجوز إنكارُ المنكر بما هو أنكرُ منه؛ ولهذا حرم الخروج على وُلاة الأمر

---

(١) المائدة، آية: ٧٨ ٧٩.

(٢) «الفتاوى»: (١٣٦/٢٨).

(٣) «الفتاوى»: (١٣٦/٢٨).

بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وإذا كان قومٌ على بدعة أو فجور ولو نُهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شرٌّ أعظم ممّا هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه، ولم يحصل بالنهي مصلحةٌ راجحةٌ، لم يُنهوا عنه)[١].

فعلى الداعية المسلم أن يعيَ هذه المعالم الرئيسة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيسلك بهذه الوسيلة الطريقة المرعية الشرعية التي يحصُل من خلالها المقصود الشرعي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

(فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده) [٢].

(١) «الفتاوى»: (١٤/٤٧٢).
(٢) «الفتاوى»: (٢٨/١٣٧).

الباب الثالث

مميزات منهج السلف

في الدعوة إلى الله وأهدافه

وفيه فصلان:

- الفصل الأوّل: مميزات منهج السلف في الدعوة.
- الفصل الثاني: الأهداف الشرعية للدعوة على فهم السلف.

الفصل الأول

مميزات منهج السلف في الدعوة

- ويتكوّن من ثلاثة مباحث:

❑ المبحث الأول: استمداد منهج السلف في الدعوة من الشرع.

❑ المبحث الثاني: تحقيق منهج السلف لمصالح الدين والدنيا.

❑ المبحث الثالث: أن منهج السلف ظاهر منصور إلى يوم القيامة.

المبحث الأول

استمداد منهج السلف من الشرع

من مميّزات منهج السلف ـ رحمهم الله ـ: أنه ينبع من الأصل الأصيل، والأساس المتين، الذي علَّق الله ـ تعالى ـ عليه نجاة الأمة وسؤددها، ألا وهو كتاب الله ـ عزّ وجل ـ وسنّة رسوله ﷺ، فلا انعقاد للولاء والبراء إلَّا عليهما، ولنصرتهما؛ فلا حزبيّة ولا طائفيّة في منهج السلف الصالح ولا تتبُّع لأنماط ومسارات معينّة لم يعهدها سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ، بل طريقةٌ واحدةٌ واعتصامٌ على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وهذه الميزة العظيمة والخصّيصة الجليلة دلّ عليها الكتاب والسنة ودعا إليها سلفُنا الصالح؛ لأنّها سبب الفوز والنصر، وسبب الائتلاف والاتّفاق.

ومن تلك الأدلّة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (١).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ (٢).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ (٣).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (٤).

يقول الشيخ السّعْدي ـ رحمه الله ـ:

(فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله من امتثال أوامر الله

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٢.
(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.
(٣) سورة النور، آية: ٥١.
(٤) سورة الحجرات، آية: ١.

واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متّبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدّموا بين يدي الله ورسوله؛ فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر؛ فإنّ هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوانُ سعادة العبد وفلاحه)[1].

ومن الشطط الخروجُ عن نهج السلف في معالجة القضايا الشرعية، والدعوة إلى الله عن طريق الأحزاب والجماعات التي تتبع مناهج مُخالفةٍ لمنهج السلف، وتستهدف إثارة الجماهير والتلبيس عليهم، والتعمية على عقولهم، والتضحية بشباب الأمّة، وبأساليب لا يرضاها دينٌ ولا عقل، فالنهج السويِّ يرفض أن يكون مُستنده ومرجعهُ إلى هوى شخصٍ أو فكرِ حزبٍ وجماعةٍ أو أكثريةٍ جامحةٍ، وكما قال ابن عبّاس رضي الله عنه: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدًا: كتاب الله، وسنّتي»[2].

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

(فلا يجوز لأحدٍ أن يجعل الأصلَ في الدين لشخص إلَّا لرسول الله ـ ﷺ، ولا لقولٍ إلا لكتاب الله ـ عزّ وجل ومن نصّب شخصا كائنا مَن كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾[3] [4] فالعزّة والنصر والسؤدد هو في هذا المنهج الربّاني؛ إذ كلُّ مَن وافق الرسول ﷺ في أمرٍ ولو كثر مخالفوه فهو من الذين اتّبعوه في ذلك، وله نصيبٌ من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[5] وأخيرًا فإنّ المسلم مطالبٌ باتباع سبيل المؤمنين ومنهج الأنبياء والمرسلين الذي اتّحد في مستنده ومنهجه، غير مكترث بكثرة المخالفين؛ فالمنهج السلفي يقف على أرض صلبة بعيدًا عن التفرّقات والحزبيّات، أساسُه الوحدة والاعتصام على ما جاء عن سلف الأمّة؛ فمن عرف منهج السلف حقّ المعرفة عرف أنه ذو فضل على

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٧٧).
(٢) رواه مالك في «الموطّأ»، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٣٦١/٤).
(٣) الأنعام آية ١٥٩
(٤) «الفتاوى»: (٨/٢٠).
(٥) التوبة، آية: ٤٠.

الأمّة جمعاء من حيثُ دعوته إلى الوحدة والاعتصام، والنأي بها عن الفرقة والاختلاف، مما فيه قوّة الأمّة واجتمُاعها وسؤددُها ونصرُها: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (١).

(١) الحج، آية: ٤٠.

المبحث الثاني

تحقيق منهج السلف لمصالح الدين والدنيا

إن السيرَ بالدعوة إلى الله ـ عزّ وجل ـ على خطى هذه المعالم العظيمة والأسس الجليلة يحقّق للأمة مصالح عظيمة في الدين والدنيا، سواء بالنسبة للداعي أو المدعوّين؛ فالسيرُ على شريعة رب العالمين في معالم الدعوة أمنٌ وأمان واطمئنان ورخاء، وأعظمُ دليلٍ على هذا قولُ النبيِّ ﷺ في بيان أنّ ما جاء به خيرٌ للأمة جميعها: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلَّا كان حقا عليه أن يدلَّ أمّتَه على خير ما يعلمُه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم»(١).

فاتِّباعُ معالم منهج النبي ﷺ في دعوته إلى الله يُنتج للأمّة الخيرَ في الدين والدنيا؛ إذ منهجه ﷺ كفيلٌ بحفظ الضرورات الخمس التي قال فيها الشاطبيُّ ـ رحمه الله ـ:

(ومجموع الضرورات خمسةٌ، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل؛ وهذه الضرورات إن فُقدت لم تجر مصالحُ الدنيا على استقامةٍ، بل على فسادٍ وتهارُجٍ وفوتِ حياةٍ؛ وفي الأخرى فوتُ النجاة والنعيم والرجوع بالخُسران المبين)(٢).

والشريعة كما يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ:

(مبناها وأساسُها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلُّها، ومصالح كلُّها)(٣).

فمنهج الدعوة السلفي فيه ثباتٌ وكمالٌ في الفهم والعقل ووضوحٌ في الغاية والوسيلة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾(٤).

وفيه هدايةٌ للتي هي أقوم في الدين والدنيا، كما قال ـ تعالى ـ: إن هذا القرآنَ يهدي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، جـ ٣٢٢/١٢ ح١٨٤٤.
(٢) «الموافقات» (١٧/٢).
(٣) «إعلام الموقعين» (٣/٣).
(٤) الأنعام، آية: ٣٨.

للتي هي أقومُ﴾[١] يقول الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ (وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها فلو تتّبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه الهدى إلى خير الدنيا والآخرة) [٢] وفيه اليسر والسهولة، بعيدًا عن العنت والحرج، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [٣].

وفيه الصلاحُ الدنيوي في كلّ زمان ومكان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤].

وفيه الالتزام بالفطرة بعيدًا عن النزوات والشهوات الجامحة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٥].

وفي تأكيد أن الشرع المطهّر بما فيه مسائل الدعوة جاء ليحقّق المصالح ويدرأ المفاسد، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

(بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضةٍ أو غالبة، وما نهى الله عنه فهو مفسدةٌ محضةٌ أو غالبة)[٦]. ومَن تأمَّل حالَ الدعوات المعاصرة اليوم عرف من خلال النظرة الثاقبة أن السيرَ على منهج سلف الأمّة كفيلٌ بنجاة الأمّة في الدنيا والآخرة؛ إذْ أصلُ الدعوة على هذا المنهج قائمٌ على أساسٍ أصيل وركن عظيم وهو أصلُ التوحيد الذي به تكون الوحدةُ كاملةً على تمامها؛ هذا المنهج السلفيُّ السنِّي ناصع الأصل والمنبع يقف مع من خالفَ هديَ النبي ﷺ موقفا فيه رد الباطل وبيان زيفِه، لا يرضى بأن تجتمع الأمّة اجتماعا صوريا وهي مفكّكة الأصول والأركان؛ فإن

(١) الإسراء، آية: ٩.
(٢) أضواء البيان ٣/٣٧٢.
(٣) البقرة، آية: ١٨٥.
(٤) المائدة، آية: ٣.
(٥) الروم، آية: ٣٠.
(٦) «الفتاوى»: (٢٧/٩١).

الاجتماع الحقّ هو الاجتماع على الأصل والحق والسبيل الواحد، لا الاجتماع على سبل متعدّدة؛ إذ إنّ مَن جمع الأمّة على سبل مختلفة ومشارب متعدّدة بعيداً عن هذا الأصل لا محالة أنّ مآلَه إلى الضلالة والفتنة؛ فكيف تتحقق مصلحة الأمّة في دنياها بهذه الطريقة التجميعيّة الفاسدة، وقد أخبر النبيُّ ﷺ عن تفرُّق الأمّة وأن النجاة منها لسبيل واحد لا للسبل المختلفة.

المبحث الثالث

إن منهج السلف ظاهر منصور إلى يوم القيامة

إن من الميّزات العظيمة لمنهج سلف الأمّة: دوامُه خالدًا منصورًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ حيث جعل الله ـ تعالى ـ منهج نبيِّه خاتَم الأديان السماوية، ولا يقبل الله دينا غيرَه، وجعله ـ تعالى ـ دينا لكافّة أهل الأرض، وإذا كان هذا الدين لكافّة أهل الأرض فإنّه سيبقى هذا المنهج النابع من الدين رسالة خالدة، جيلًا بعد جيل، وزمنا بعد زمن إلى يوم القيامة.

«نعم قد ينحسر ظلُّه، ويقِلُّ أتباعُه، وتحصل الغُربة في كثير من الأقطار، لا سيّما عندما تنتشر البدع والخرافات والانحرافات الكثيرة التي تُبعِد المسلمين عن الجادّة، ولكنّ الله ـ عزّ وجل ـ لم يكن ليترك دينَه لعبث هؤلاء المبتدعين، بل قيَّض لهم من أهل المنهج السلفي من يكشف زيفهم، ويُبطلُ مكائدهم»(١).

وإليك ـ أخي القارئ ـ طائفةً من الأدلّة العظيمة التي تُفيد هذه المعاني العظيمة، من نُصرة هذا المنهج القويم، وبقائه عزيزًا منصورًا إلى أن يأتي أمرُ الله؛ ومن تلك الأدلّة:

قولُه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾(٢).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾(٣).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾(٤).

فإن الناظر إلى هذه الأدلة يجد أنّها تُفيد نصرَ الله للأنبياء والمرسلين ولعباده

---

(١) «تنبيه أولي الأبصار» للشيخ: صالح السحيمي (بتصرّف) (٤٤).

(٢) غافر، آية: ٥١.

(٣) الصافات، الآيتان: ١٧١ - ١٧٣.

(٤) المجادلة، آية: ٢١.

الصالحين المؤمنين،ولا يتنافى هذا مع ما يحدث لبعض الأنبياء من قومهم كما حدث مثلًا ليحيى بن زكريا، وإبراهيم ـ عليهم السلام ـ، ويتضح هذا من كلام المُفسرين على الآيات الدالة على نصرة الله للأنبياء والمُرسلين ومنهم ابن جرير ـ رحمه الله ـ حيث يقول ـ:

«الآيات تدل على وجهين كلاهما صحيح:

أحدهما: أن يكون معناه: إنا لننصُر رُسُلَنا والذين آمنوا بإعلائنا لهم على من كذَّبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلّوهم بالظفرِ ذِلَّةً كحال داود وسليمان ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وإمَّا بانتقامنا ممن حادَّهم وشاقهم بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممن كذَّبهم وعاداهم، كالذي فعله ـ سبحانه ـ بنوح وقومه من تفرّق قومه، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كما فعل ـ سبحانه ـ بمن قتل يحيى عليه السلام من تسليط الأعداء عليهم»[(١)].

وفي هذا الباب أحاديث كثيرةٌ في أنّ أمر الله قائمٌ في أمّة محمد ﷺ، ولن يزال أمرهم على الاستقامة والخير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ذلك:

قولُه ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله وهم ظاهرون على الناس»[(٢)].

وقولُه ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُفقِّه في الدين، وإنما أنا قاسم ويُعطي الله؛ ولن يزال أمرُ هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمرُ الله»[(٣)].

قال الترمذي ـ رحمه الله ـ:

(قال محمد بن إسماعيل البخاري: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث)[(٤)].

يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

«وفي هذا الحديث معجزةٌ ظاهرةٌ: فإنَّ هذا الوصف ما زال ـ بحمد الله ـ من زمن

---

(١) «تفسير ابن جرير» - بتصرّف -: (٢٤/٧٤).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، ج١٣/٩٩ ح ١٠٣٧.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، ج٧/١٨١ ح ١٣١٢.
(٤) سنن الترمذي، ج٤/١٥ ح ٢١٩٢.

النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتيَ أمرُ الله»[١].

ومما يدل ـ أيضا ـ على هذه الميزة العظيمة:

قوله ﷺ في حديث أبي تميم الداري رضي الله عنه: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل؛ عزًّا يُعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلُّ الله به الكفر»[٢].

ولعلّه بعد هذه الأحاديث النبوية يكونُ من المناسب أن يقف القارئُ على السبب الذي يجلبُ النصر والعزّة والتمكين؛ وأسوقُ آيةً من كتاب الله تعالى فيها بيانُ لأسباب النصرة والتمكين، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣].

فهذه الآية العظيمة الجليلة قد بيّنت السبب الجالب للنصر ألا وهو عبادة الله وتوحيده، والسيرُ على منهج التوحيد والنبوّة، والبعد عن المخالفات الشهوانية والبدعيّة؛ فسلامة التوحيدِ من شوائب الشرك والبدع والشهوات سبب للنصرِ والعزّة والتمكين وزيادة خير الأمّة؛ يقول الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ في التعليق على ما جاء في الآية السابقة: «ولما سار السلفُ الصالحُ والصدرُ الأوّل من هذه الأمة على تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ أعزَّهم الله ورفع شأنَهم، ومكّن لهم في الأرض تحقيقا لما وعدهم الله به»[٤].

فعلى الداعية المسلم لُزوم هذا المنهج العظيم، وعدمُ الحيادِ عنه؛ فبقدر ما يحفظ العبدُ هذا الدينَ العظيمَ يحفظه الله وينصرُه .

---

(١) «الفتح»: (٩/١/١٣).
(٢) رواه الطبراني: (٥٨/٢)، وأحمد: (٤٠٤/٤)، والحاكم: (٤٣٠/٤).
(٣) النور، آية: ٥٥.
(٤) «مجلة البحوث الإسلامية» عدد (٩/٢٤).

الفصل الثاني

الأهداف الشرعية للدعوة على فهم السلف

ويتكوّن من مبحثين:

- المبحث الأول: الخروج من عهدة التكليف بقيام الحجة على المدعو.
- المبحث الثاني: رجاء هداية المدعو.

المبحث الأول

الخروج من عهدة التكليف بقيام الحجة على المدعو

دلَّت الآيات والأحاديث على أن من أهداف الدعوة إلى الله على منهج سلف الأمّة: الخروج من عهدة التكليف، وقيام الحُجَّة على المدعو، بأن تبرأ ذمّة الداعية إلى الله أمام ربِّه ـ سبحانه وتعالى ـ بما قام به واجتهد فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى ما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

فإذا قام الداعيةُ ببيان الحق للناس، وحثّهم عليه، وأبان لهم الحجّة، وأنار لهم سبيل المحجة؛ فإنه يكون بذلك قد خرج من العهد التكليفيّة التي كلَّفه الله بها؛ فما عليه إلا أن يقوم بوظيفة البيان والنصح والنذارة ليكون بذلك خارجا من العهدة.

وكما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«فإن الله أقام حُجَّته على خلقه بالرُّسل الذين بعثهم إليهم مبشرين ومنذرين ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]، وقال ـ تعالى ـ عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾[2]»[3].

وهذا الذي بيّنه شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هو ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإليك بعضا من الأدلة التي يتبيّن بها المقصود: قوله ـ تعالى ـ في أصحاب السبت ونُصح من نصحهم:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٥

(٢) سورة تبارك، آية ٨، ٩.

(٣) «المجموع»: (١٩/١٤٢).

(٤) الأعراف، آية: ١٦٤.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ شارحا الآية:

«وهذا هو المقصود الأعظمُ من إنكار المنكر ليكون معذرةً وإقامة حُجّةٍ على المأمور والمنهي»(١).

ومن الآيات: قولُه ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾(٢)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٣)، وقال ـ تعالى ـ عن قول نبي الله صالح لقومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾(٥).

فالآيات السابقُ ذكرُها بيان وإيضاح لهدف الدعوة الأسمى ألا وهو إقامة الحجّة على الناس بإبلاغهم أوامر الله ـ جلّ وعلا ـ، وإرشادهم إليه، ونصحهم بسلوكِه، للخروج من عهدة التكليف، وإقامة الحجّة والبرهان على الخلق، ويدلّ على ذلك قولُه ﷺ في حديث جابر الطويل: «وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعدَه إن اعتصمتم به: كتاب الله؛ وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدّيتَ ونصحت فقال بأصبعه السبّابة يرفعُها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات(٦).

ففي هذا الحديث العظيم بيانٌ من النبي ﷺ لهدفه الأسمى ألا وهو تبليغ دين الله وإرشاد الأمّة إليه، وتأدية الدين كما جاء بلا زيادة ولا نقصان.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (٣/١/١٠).
(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.
(٣) سورة النحل، آية: ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، آية: ٧٩.
(٥) سورة النور، آية: ٥٤.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، /ج٨/٢٣٦ ح ١٢١٨.

ولهذا يقول الله ـ تعالى ـ لنبيِّه عند حزنه على بعض قومه وأنه لا يملك إلا الإرشاد والتبليغ، وليس عليه إلَّا أن يقيم الحجّة عليهم، فيقول الله ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ (١).

فليس على الداعية إلَّا إقامة الحجّة حتى يخرج من عهدة التكليف؛ فإن الداعية متى جهل هذا الأمر العظيم ساء فهمُه، وضاقت نفسُه، وانحرف فكرُه، ورجع خاسرًا، حتى يشتطَّ إلى أساليب مخالفةٍ لمنهج سلف الأمّة فيُوقِع الضرر على نفسه والآخرين بسبب جهله لهذه الحقيقة.

فإن الناظرَ في الدعوات التي غاب عنها هذا الفهم يجدُ الانهزامية عندهم أمام النكبات، ويجد الكآبة تغمر نظرتهم وتسوِّد كتاباتهم وينتُج عن هذا الأمر نتائج لا تُحمدُ عقباها، بعكس من آتاه الله علما وبصيرة وسيرًا على منهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ؛ فنجدهم ـ والحالة هذه ـ يعالجون ما يرونه كما عالج السلفُ الصالحُ أحوالَهم؛ يحافظون على أصول الدين، ويؤسسون الأساس المتين، ويُبصِّرون من استطاعوا من العالمين؛ إقامةً للحجة وخروجا من العُهدة.

---

(١) الكهف، آية: ٦.

المبحث الثاني

رجاء هداية المدعو

إن الداعية إلى الله ـ تعالى ـ على أسس منهج سلف الأمة ومعالمه العظيمة إنما يرجو بتلك الدعوة سلوكَ الناس الطريق الصحيح المستقيم، وهدايتهم إلى طريق الجنة طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا؛ وأُسوتنا في هذا الهدف الجليل رسولُ الله ﷺ؛ فلقد كان حريصا على هداية الناس إلى الطريق القويم والنهج المستقيم.

ولذا يقول الله ـ تعالى ـ في وصف نبيِّه ﷺ: (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يُضلُّ وما لهم من ناصرين)[١].

ويقول ـ تعالى ـ عنه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢].

فما حَرِص النبيُّ ﷺ ولا ذهبت نفسُه حسرات على قومه إلَّا رجاءَ هدايتهم الهداية الارشادية البيانية ومحبّة نصحهم، وخوفا عليهم من عذاب الله الأليم الذي أعدّه ـ سبحانه ـ للمعرضين عن سبيل الهداية والرشاد؛ ولذلك يقول ﷺ عندما جمع قومه قاصدًا هدايتهم: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ أليم»[٣].

فها هو ﷺ يسلك مع الناس كلّ أساليب الدعوة المفضية لهدايتهم ونصحهم وإنذارهم؛ حيث زار النبيُّ ﷺ غلاما يهوديا فقال له: «أسلم»، فنظر اليهودي إلى أبيه وهو عنده فقال له: (أطع أبا القاسم)، فأسلم؛ فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول كلمة عظيمة تدل على حرصه على هذا الهدف الأسمى للدعوة، حيث قال: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٤].

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٧.
(٢) سورة فاطر، آية: ٨.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، /ج٩/٤٥٠ ح ٤٧٧٠.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، /٣/٥٨٣ ح١٣٥٦.

وما فعله ﷺ مع عمِّه أبي طالب ليس إلَّا دليلًا عظيما على حرصه على هدف الدعوة الأسمى ألا وهو هداية الناس؛ حيث كان يقول ﷺ لعمِّه: «يا عمّ، قل لا إله إلا الله؛ كلمةً أشهدُ لك بها عند الله»(١).

ولا أدلَّ على هذا الهدف الأسمى من أنّ النبي ﷺ عندما آذاه بعض الناس، وعارضوا دعوتَه، وتركوه وحيدًا فريدًا بعث الله إليه ملَك الجبال ليستأذن في أن يُطبِق عليهم الأخشبين؛ فما كان منه إلا أن قال: «بل أرجو أن يُخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحدَه لا يشرك به شيئا» (٢).

فما أعظمها من كلمات عظيمات تُعطي كل داعية درسا عميقا ليعرف هدف الدعوة الأسمى، وليكون الداعية بعيدًا عن جميع التصرُّفات والسلوكيّات التي تُبعدُه عن تحقيق هذا الهدف العظيم: هداية الخلْق إلى الدين الحق؛ بل لم يترك النبي ﷺ هذا الهدفَ الجليل في أوقاته الحرجة في حال يُسره وعُسره؛ كما ذكَّر الأمة عند وفاته، فقال عند وفاته واحتضاره: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣).

ومما يدلُّ على هذا الهدف العظيم في الدعوة إلى الله أنّ النبي ﷺ كان يعلِّم أصحابَه رضي الله عنهم ويحثُّهم على دعاء الله ـ تعالى ـ وسؤاله الهداية والسداد حيث يقول عليّ ﷺ: قال لي رسولُ الله ﷺ قل: «اللهم اهدني، وسدّدني»(٤) ومما مضى يتضحُ لكل مسلم ـ وخاصّة الداعية إلى الله تعالى ـ: أن هداية الناس ومحبَّة نصحهم تعدُّ من أهم أهداف الدعوة ومقاصدها؛ وعليه: فإنه يجبُ أن يسلك الداعية مسالك السنة النبوية في ذلك بعيدًا عن الإفراط والتفريط أو الغلو والإجحاف.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز /٣/٥٨٦ ح ١٣٦٠.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ج٦/٤٥٨ح/٣٢٣١
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، ج٣/٥٥٩ ح ١٣٣٠.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذِكر، /ج١٧/٦٧ ح٢٧٢٥.

الخاتمة

● تتلخص الخاتمة فيما يلي:

١ـ أن المراد بالسلف هم : من سبق بهذا الدين من الصحابة والتابعين، ولا استحقاق لمن جاءَ بعدهم للفضل والوصف إلا بالمتابعة.

٢ـ أن للسلف – رضي الله عنهم – أوصافًا كثيرة ونعوتًا جليلة، تدلُّ على ماهية وحقيقةٍ واحدة؛ وفيها تميز لهم عن أهل البدع.

٣ـ شعارُ أهل البدع : تركُ انتحال اتباع السلف.

٤ـ حاجةُ الناس لمن يبصّرهم ويبيّن لهم أمور دينهم.

٥ـ لا نجاح للدعوة إلى الله إلا إذا كانت لله وحدَه قولًا وفعلاً، إرادة وقصدًا.

٦ـ إذا كان الداعية إلى الله لا يحمل من العلم شيئًا فإلى أيِّ شيء يدعو ؟. وما أخطأ من أخطأ في سبيل الدعوة إلا لسبب جهله وبُعدِه عن النور والهداية.

٧ـ ما أحوج داعية أهل السنة إلى الصبر والتحمُّل في سبيل هذا الطريق ابتغاء مرضاة الله.

٨ـ فرقٌ بين الصبر على الحق والصبر على الباطل؛ فالأول مأجور، والآخر مرذول.

٩ـ يجب على الداعية مراعاة الفروق بين المسلمين وغيرهم، وبين حال أهل البدع وأهل الجهل، وبين حال الحكّام والمحكومين، وبين حال العلماء والعامة؛ ففي معرفته لتلك الفروق وكيفية التعامل معها نجاح للدعوة إلى الله.

١٠ـ التدرج في الدعوة إلى الأهم ثم الأهم، وأهم شيء هو التوحيد؛ فهو أساس الدين وركيزة الملّة ومفتاح دعوة الرسل.

١١ـ لا يلزم من الدعوة إلى الوحدة والألفة تركُ الرد على أهل البدع.

١٢ـ شمولية منهج السلف وإصلاحه لكل ما ينشأ ويستجد في مجتمع المسلمين من مخالفات شرعية.

١٣- على الداعية أن يعرف أنّ هناك بونًا شاسعًا وفرقًا جليًّا بين عصر صدر الإسلام والعصور بعدَه؛ فمن أراد أن يكون مجتمعه مثاليًّا - كما هو الحال في العصور المتقدِّمة، خاصة صدر الإسلام - فقد أغرب في تفكيرِه، وأخطأ في معالجته.

١٤- مما يجبُ على الداعية مراعاته أثناء قيامه بالدعوة إلى الله الفوارق الطبيعية والعادات المختلفة من الأصول المتباينة بين البلدان والأمصار.

١٥- يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين الفتن محصورًا في أبواب معيّنةٍ؛ فكلُّ زمانٍ له حكمه الذي قد بينّه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته وأعلمهم إيّاه وعلمهم بما يعملون فيه.

١٦- الأصل في الوسائل المادية الحل والإباحة ما لم تقترن بمحرّم.

١٧- خطأ كثيرٍ من الكتّاب حين حملوا مسألة توقيف الوسائل الدعوية على جانب الوسائل المادية، مع أنها ليست داخلة في هذا الباب؛ فباب التوقيف وعدمه منصب على الوسائل التعبدية فقط.

١٨- أساليب الدعوة ووسائلها مستمدة من الكتاب والسنة.

١٩- الفرق بين الوسيلة والأسلوب يكون عند اجتماعها، ولا فرق بينهما إذا افترقا؛ فقد تطلقُ الوسيلة على الأسلوب والعكس باعتبار أن كلًا منها يوصل إلى المقصود.

٢٠- تطلق الحكمة على معرفة الحق والعمل به، وعلى فعل الشيء على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

٢١- تطلق الموعظة على الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، وتستخدم في حق من أصابته غفلة وناله جفاء وإعراضٌ بعد معرفة الحق.

٢٢- من الخطأ أن تأخذ الموعظة أسلوبًا لم يكن معهودًا أيام السلف الصالح، كقيام طائفةٍ من الناس الذين لا علم عندهم بولوج باب الموعظة.

٢٣- يُطلق الجدل على مقابلة الحجة بالحجة وكشف اللبس لدى المدعو؛ ويستخدم في حق من عنده شبهة عرضت له في فهم الحق والعمل به.

٢٤- الجهادُ يكون بالسيف والسنان والحجة والبرهان.

٢٥- أول فرقة حوّلت معنى الجهاد إلى طرق مبتدعة هي فرقة الخوارج، وإنما ذلك لسبب فساد فكرهم وسوء فهمهم.

٢٦- سلك النبي ﷺ أسلوب التأليف رجاء هداية المدعو وقبوله الحق، ولا يعني هذا أن يُوسَّع باب التأليف حتى يكون سببًا في ارتكاب المحذورات وغشيان المحرمات.

٢٧- هجر أهل البدع والمعاصي وترك مخالطتهم؛ وذلك حسب الضوابط والمقاصد الشرعية.

٢٨- من أعظم أساليب منهج السلف: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك بضوابط الشريعة المؤدية إلى الأهداف الشرعية.

٢٩- يمتاز المنهج السلفي باستمداده من الشرع، وتحقيقه لمصالح الدينا والدين، وأنه منهج منصور إلى يوم القيامة.

٣٠- المنهج السلفي يهدف إلى هداية المدعو والخروج من عهدة التكليف الشرعية؛ وذلك لقيام الحجة على المدعو وبيان الحق له.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الأجوبة السّديدة **على الأسئلة الرشيدة**، بقلم زيد بن هادي المدخلي، الطبعة الأولى، دار العلم بجدّة.
٣ ـ الأجوبة المفيدة **على أسئلة المناهج الجديدة** ، من فتاوى الشيخ الفوزان ،جمع جمال فريحان.
٣ ـ **إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين**، مراجعة طه عبد الرؤوف، دار الجيل.
٤ ـ **الاقتصاد في علم الاعتقاد**، للغزالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
٥ ـ الإبانة عن **شريعة الفرقة النّاجية**، لأبي عبد الله محمد بن بطّة العكبري، تحقيق رضا بن نعسان معطي، الطبعة الأولى، دار الرّاية للنشر والتوزيع.
٦ ـ أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام. محمد أمان الجامي، المكتب الإسلامي.
٧ ـ أضواء البيان للشيخ العلامة الشنقيطي.
٨ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميّة تحقيق د/ناصر العقل، مكتبة الرشد.
٩ ـ الإسلام دينٌ كامل للشيخ محمد الأمين الشنقيطي مكتبة عبد الوهاب مرزا.
١٠ ـ الاستقامة لابن تيميّة.
١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم المكتبة الثقافية.
١٢- الاعتصام للشاطبي، دار بن عفان.
١٣ ـ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهريّ، تحقيق عبد السلام سرحان، ومحمد علي النجار، الدار المصرية.
١٤ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للعلاّمة السعدي، دار المغني بالرياض.
١٥ ـ تفسير القرآن بالقرآن، لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة.

١٦ ـ التفسير القيِّم لابن القيِّم، جمع محمد إدريس الندوي، دار الكتب العلمية.
١٧ ـ تفسير الطبري، تحقيق محمد شاكر، دار المعارف.
١٨ ـ تنبيه أولى الأبصار، د. صالح السحيمي، تقديم الشيخ صالح الفوزان، والشيخ حمود التويجري، دار ابن حزم.
١٩-تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ المكتب الاسلامي.
٢٠ ـ تلبيس إبليس، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، دار المدني.
٢١-تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيميّة دار أطلس.
٢٢ ـ جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
٢٣ ـ جمهرة اللغة، لابن دُريد الأزدي، دار صادر.
٢٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، الطبعة الثّانية، دار إحياء التّراث.
٢٥ ـ الحجج القوية على أنّ وسائل الدعوة توقيفيّة، لعبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، الطبعة الأولى، دار المنار.
٢٦ ـ حقيقة الدعوة إلى الله، بقلم سعد عبد الرحمن الحصينٌ، نشر مكتبة دار السلام.
٢٧ ـ الحكمة في الدعوة، لسعيد بن علي القحطاني، ط ١٤١٢هـ.
٢٨ ـ حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية، بقلم بكر أبو زيد، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث.
٢٩ ـ الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، لعبد الحميد بن باديس، تحيق علي بن حسن الأثري، دار المنار.
٣٠ ـ الدعوة إلى الله بين التجمُّع الحزبي والتعاون الشرعي، علي حسن الأثري، ط(١) ١٤١٢هـ.
٣١ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبد الرحمن القاسم.
٣٢ ـ رسالة في الدعوة إلى الله، بقلم الشيخ محمد الصّالح العثيمين، مطابع الجامعة الإسلاميّة.

٣٣ ـ الرياض الناضرة، للسعدي، مكتبة المعارف.
٣٤ ـ رسائل في العقيدة، للعثيمين، مكتبة المعارف.
٣٥ ـ سنن أبي داود، تعليق عزت عبيد، وعال السيِّد، دار ابن حزم.
٣٦ ـ سنن الترمذي مع شرح عارضة الأحوذي، لابن العربي المالكي، دار الكتب العلميّة.
٣٧ ـ سنن الداقطني.
٣٨ ـ سنن ابن ماجه بشرح السندي، تحقيق خليل مأمون، دار المؤيّد.
٣٩ ـ سلسلة الأحاديث الصّحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
٤٠ ـ السياسة الشرعية، لابن تيميّة، دار الكتاب العربي.
٤١ ـ السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلاّل، دار الراية ١٤١٠هـ.
٤٢- ستّ درر من أصول أهل الأثر عبد المالك الرمضاني مكتبة العمرين العلمية.
٤٣ ـ شرح السنّة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.
٤٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
٤٥ ـ الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي، تحقيق : عبد الله الدنيجي، دار الوطن.
٤٦-شرح مشكل الآثار، للطحاوي، مؤسسة الرسالة.
٤٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، دار طيبة.
٤٨ ـ الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين.
٤٩ ـ الصحوة الإسلاميّة ضوابط وتوجيهات، للعلامة العثيمين، دار المجد.
٥٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الثانية، مؤسسة قرطبة.
٥١- صفات الداعية، لحمد العمار، مركز الدراسات والإعلام.
٥٢- الصواعق المرسلة، لابن القيم، دار العاصمة.

٥٣ ـ طبقات الحنابلة، لأبي يعلى، دار المعرفة.
٥٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي اسماعيل الصابوني، الدار السلفية.
٥٥- عقيدة الموحدين، عبدالله العبدلي، مكتبة الطرفين.
٥٦ ـ غياث الأمم في التياث الظُّلَم، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب.
٥٧ ـ فتح القدير، للشوكاني، مطبعة مصطفى البابي.
٥٨ ـ فتح الباري، لابن حجر، دار الفكر.
٥٩- فضل الجهاد والمجاهدين، للشيخ عبد العزيز بن باز.
٦٠- فضل الدعوة للشيخ عبد العزيز بن باز.
٦١ ـ الفِصل في الملل والأهواء والنّحل، لابن حزم الظّاهري، دار الجيل.
٦٢ ـ الفروسية، لابن القيم، تحقيق: عزت العطار، دار الكتب العلمية.
٦٣ ـ فتاوى العقيدة، للشيخ: محمد صالح العثيمين، مكتبة السنة ١٤١٣هـ.
٦٤ ـ كتاب الحوادث والبدع، للطرطوشي، تحقيق عبد الحميد التركي.
٦٥ ـ كتاب السنة، لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
٦٦ ـ لسان العرب، لابن منظور، اعتنى به أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصّادق، دار إحياء التراث العربي.
٦٧ ـ لقاء الباب المفتوح، لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن.
٦٨ ـ الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٨هـ.
٦٩ ـ منهج ابن القيّم في الدعوة إلى الله، تأليف أحمد عبد العزيز الحلف، مكتبة أضواء السلف.
٧٠ ـ منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين، الدكتور صالح بن سعد السحيمي.

٧١ ـ مدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتب العلمية.
٧٢ ـ مفتاح دار السعادة، لابن القيِّم، تحقيق علي الأثري، دار ابن عفان، وطبعة دار الكتب العلمية.
٧٣ ـ منهاج السنّة النبويّة، لابن تيميّة، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر دار الثقافة بجامعة الإمام.
٧٤ ـ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، جمع : محمد الشويعر، طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.
٧٥- مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي، دار بن الجوزي.
٧٦ ـ منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، د. عبد الله الحوشاني، دار أشبيليا.
٧٧ ـ معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطَّابي، حققه: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلميّة ١٤١١هـ.
٧٨ ـ مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، محمد أمان، دار راسم.
٧٩ ـ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، د. ربيع بن هادي المدخلي، تقديم الشيخ العلامة صالح الفوزان، مكتبة الغرباء.
٨٠ ـ موقف المؤمن من الفتنة، للشيخ عبد الله العبيلان، دار الأصالة للنشر.
٨١ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، دار العلم.
٨٢ ـ المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ الفوزان، جمع: عادل الفريدان، مكتبة الغرباء ١٤١٧هـ.
٨٣ ـ موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، للدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء.
٨٤ ـ مراجعات في الواقع السياسي جمع واعداد محمد الرفاعي.
٨٥- مسند الامام أحمد، المكتب الإسلامي.
٨٦- المستدرك على الصحيحين للحاكم مكتب المطبوعات الإسلامية.
٨٧- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيميّه.

٨٨- الموطأ للإمام مالك.
٨٩- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي، مركز بن صالح الثقافي.
٩٠ ـ معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، دار بن القيّم.
٩١ ـ نقض المنطق، لابن تيميّة، صحّحه محمد حامد الفقي، مكتبة السنّة المحمديّة.
٩٢ ـ نصيحة مهمّة في ثلاث قضايا ، لأئمّة الدعوة النجدية.
٩٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، نشر المكتبة الإسلامية.
٩٤ ـ وسطية أهل السنة من أهل الفِرق، د. محمد باكريم، دار الراية.
٩٥ - هجر المبتدع، بكر أبو زيد.

* * *

فهرس الموضوعات

- المقدمة ١٣
- تعريف «كلمة السلف» لغةً ٢١
- تعريف كلمة «السلف» اصطلاحًا ٢٢
- المسمَّيات التي تُطلق على السَّلف ٢٥
- صِحَّة الانتساب إلى منهج السلف ٢٨
- تعريف الدعوة ٣١
- فضل الدعوة وحاجة الناس إليها ٣٢
- الباب الأول: ضوابط منهج السلف في الدعوة، وشرُوطها ٣٧
- الفصل الأول: الضوابط المتعلقة بالداعية ٣٩
  - المبحث الأول: الإخلاص وأهمِيَّته ٤١
  - المبحث الثاني: الدعوة بعلم وبصيرة في الدين ٤٩
  - المبحث الثالث: الحلم والصبر على الأذى ٥٧
- الفصل الثاني: الضوابط المتعلقة بالمدعو ٦٥
  - المبحث الأول: مراعاة الفوارق بين دعوة المسلمين وغيرهم ٦٧
  - المبحث الثاني: مراعاة الفوارق بين أهل الجهل وأهل الهوى ٧٠
  - المبحث الثالث: مراعاة الفوارق بين دعوة الحكّام والمحكومين ٧٤
  - المبحث الرابع: مراعاة الفوارق بالنسبة للحالات النفسيّة والقدرات البشرية، والمكانة والشرف والسن ٧٨
- الفصل الثالث: الضوابط المتعلقة بالمدعو إليه ٨٣
  - المبحث الأول: الدعوة إلى الأهم فالأهم، وأهمُّها التوحيد ٨٥
  - المبحث الثاني: الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة ٩١
  - المبحث الثالث: شمولية فهم السلف، ودعوتهم لإصلاح ما ينشأ في المجتمع من مخالفات ٩٨
- الفصل الرابع: الضوابط المتعلقة بأحوال الزمان والمكان للدعوة ١٠١
  - المبحث الأول: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة في صدر الإسلام، وحالها في هذا الزمان ١٠٣
  - المبحث الثاني: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة من مَصر إلى مَصر آخر بحسب أحوال الناس ١٠٦

- المبحث الثالث: مراعاة الفوارق بين حال الدعوة مع وجود الدولة المسلمة من عدمها ١٠٩

❑ الباب الثاني: وسائل منهج السلف في الدعوة إلى الله ١١٧

❑ الفصل الأول: في التعريف بوسائل الدعوة، وبيان أقسامها ١١٩

- تمهيد في تعريف الوسائل ١٢١
- المبحث الأول: الوسائل العادية: تعريفها، وضابطها ومشروعيتها ١٢٣
- المبحث الثاني: الوسائل التعبدية: تعريفها، وضابطها، ومشروعيتها ١٢٥
- المبحث الثالث: في حكم الوسائل، وبيان الأقوال، ووجه الحق فيها ١٢٦

❑ الفصل الثاني: في الوسائل الشرعية للدعوة على ضوء الأسس السلفية، وبيان وجه المخالفة فيها ١٣٥

- المبحث الأول: أسلوب الحكمة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه ١٣٧
- المبحث الثاني: أسلوب الموعظة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه ١٤٣
- المبحث الثالث: أسلوب المجادلة: تقريره، ومن يُستخدم في حقه ١٤٦
- المبحث الرابع: الجهاد: تقريره، ومن يُستخدم في حقه ١٤٩
- المبحث الخامس: أسلوب التأليف: تقريره، ومن يُستخدم في حقه ١٥٥
- المبحث السادس: أسلوب الهجر: تقريره، من يُستخدم في حقه ١٥٩
- المبحث السابع: أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضوابطه ١٦٣

❑ الباب الثالث: مميزات منهج السلف في الدعوة إلى الله وأهدافه ١٦٧

❑ الفصل الأول: مميزات منهج السلف في الدعوة ١٦٩

- المبحث الأول: استمداد منهج السلف من الشرع ١٧١
- المبحث الثاني: تحقيق منهج السلف لمصالح الدين والدنيا ١٧٤
- المبحث الثالث: إن منهج السلف ظاهر منصور إلى يوم القيامة ١٧٧

❑ الفصل الثاني: الأهداف الشرعية للدعوة على فهم السلف ١٨١

- المبحث الأول: الخروج من عهدة التكليف بقيام الحجة على المدعو ١٨٣
- المبحث الثاني: رجاء هداية المدعو ١٨٦

❑ الخاتمة ١٨٩

❑ فهرس المصادر والمراجع ١٩٣

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان

☎ : ٣٢٠٧٩٤ (٠٨٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١

بني سويف ـ مصر